الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري بتيزي وزو

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللّغة العربية وآدابها

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

التّخصص: اللّغة والأدب العربي

الفرع: سيميائيات وتحليل الخطاب

إعداد الطّالبة: حبي حكيمة

الموضوع:

السياق التداولي في "كليلة ودمنة" لابن المقفّع

لجنة المناقشة:

- د. بوجمعة شتوان، أستاذ محاضر، جامعة مولود معمري بتيزي وزو .... رئيسا
- د. آمنة بلعلى، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري بتيزي وزو .... مشرفة ومقررة
- د. لبوخ بوجملين، أستاذ محاضر، جامعة ورقلة .... ممتحنًا
- د. عمر بلخير، أستاذ محاضر، جامعة مولود معمري بتيزي وزو .... ممتحناً

تاريخ المناقشة:............................

إهداء

إلى كل من ساهم في إ... سواء ماديا أو معنويا.

وبالخصوص إلى والدي، اللّذين لن يعوضهما أي شيء في هذه الحياة، كافحا من أجلي حتى أوصلاني إلى هذه المرحلة.

أطال الله في عمريهما.

إلى زوجي العزيز الذي ساعدني بكل ما تأتى له من وسائل.

وإلى والديه الكريمين وعائلته الفاضلة.

إلى إخوتي جميعا.

وإلى كل من ساعدني وشجعني على إتمام بحثي هذا، من الأهل والأصدقاء.

✍ حكيمة حبي

كلمة شكر

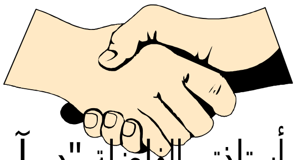

أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة "د. آمنة بلعلى" التي ساعدتني كثيرا على إتمام هذا العمل، إذ لم تدخر أي جهد في توجيهي وإرشادي. فأقول لها شكرا أستاذتي على صبرك معي.

كما أتوجه بالشكر كذلك إلى جميع الأساتذة الذين ساعدوني بتوجيهاتهم، ومدهم لي بالمراجع المختلفة التي استفدت منها في بحثي هذا.

✍ **حكيمة حبي**

"عندما يأخذ الباحث في دراسة القدماء، يتساءل هل هو الذي يقرأهم أم هم الذين يقرؤونه، ذلك أنه سرعان ما يكتشف أنّ ما يستهويه في القصص القديمة هو مخالفتها لما تعود عليه فينظر إلى الأدب الحديث من خلال الأدب القديم ويبصر نفسه بعيون أخرى، عيون أناس ماتوا منذ قرون خلت، فيدرك أنّ الأساليب التي ألّفها أساليب نسبيّة، مرتبطة بزمان ومكان، وأنها ليست طبيعية، شأنها شأن الأساليب القديمة، عندئذ يرى نفسه شخصية قصة بدأت ذات يوم، ولابد أن تنتهي في يوم من الأيام"

عبد الفتاح كيليطو – الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)- الملحق.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

يعتبر تراث الأدب العربيّ، من بين أهمّ الآداب العالميّة ثراء وغنًى من حيث الموروث الثّقافي والنّقدي، هذا ما يجعل الباحث الذي يريد استكشاف كنّة هذا التّراث يقف حائرا أمام هذا الزخم المعرفيّ.

وفي خضم كل هذا ارتأينا أن نختار مدونة خاصة لبحثنا هذا، وهذا طبعا بتوجيه من أستاذتي المشرفة التي كان لها الفضل في توجيهي إلى أحد أهم كتب التّراث التي تحوي دررا معرفيّة خاصّة، ألا وهي كتاب " **كليلة ودمنة**" لمؤلفها " **ابن المقفّع**".

يحوي هذا الكتاب مجموعة قصصيّة، وحوارات مختلفة على ألسنة الحيوانات، والكتاب في أصله من وضع علماء الهند بمختلف مشاربهم، من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها ما وجدوا من القول في النّحو الذي أرادوا. وتجري وقائع هذا الكتاب على ألسنة الحيوانات بأسلوب ظريف وجذّاب من الفكاهة والمتعة والذّوق أو اللّقطات الفلسفيّة، والمعاني الإنسانيّة، والمثل الأخلاقيّة.

وقد جاء تأليف هذا الكتاب في سياق ثقافي واجتماعي سائد في تلك الفترة، فكان دعوةً إصلاحيّة في البحث والنّقد اللاّذع لسياسة كانت قائمة في ذلك العهد، لا يؤمن فيها المرء على ماله ونفسه وحريته، فضلا عن أنّه غني بقيمه وطاقاته الأدبيّة والفلسفيّة والتاريخيّة، هذا ما جعل مترجم الكتاب "عبد الله ابن المقفّع" ينبهنا في باب عرض الكتاب إلى توخّي الحذر واستحكام العقل والتّفكير في كيفية تلقي ما جيء فيه فيقول: «**وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له، وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم وأضافه إلى غير مفصح، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني**»[1]. وانطلاقا من نصيحة "ابن المقفّع" في كيفية فهم الكتاب، فإنّه يكون مفروضا علينا أن نستحكم منهجا معينا، تكون

[1] - عبد الله ابن المقفع: "كليلة ودمنة"، مراجعة وتعليق عرفان مطرجي، ط1، دار الفكر، بيروت 2005.

آلياته التي نعتمد عليها أثناء التّحليل أكثر مرونة ونجاعة للوصول إلى الفهم الجيد للخطاب المراد بحثه، ولأنّ أيّ خطاب لا يمكن تحليله إلا بالعودة إلى السّياق التّداولي الذي تمخض عنه، فإنّنا آثرنا أن نستند إلى المناهج الحديثة في تحليلنا هذا، مثل المنهج التّداولي الذي يعدّ من أحد أهم فروع ميادين السّيميائيات حسب "شارل موريس" التي عرفها بأنها – دراسة علاقة العلامات بمستعمليها-

ولاعتبار السّياق من أهمّ الأعمدة التي تقوم عليه التّداولية وسيميائيات التّواصل، فإنّ أيّ فهم لخطاب لغويّ معين لا يمكن تحقيقه إلا إذا قمنا بتقصي الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة والتاريخيّة، التي ولّدت لنا خطابا مؤثّثا بمختلف المعارف والتجارب الإنسانية، فالسّياق كما عرّفه "جان ديبوا" بقوله: «**هو مجمل الشّروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللّغة [...] وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقّي والوضعية الثّقافية والنّفسية والتّجارب والمعلومات الشّائعة بينهما**»[1].

وبناء عليه، فإنّ "كليلة ودمنة"، لا يمكن لأي باحث أن يعنى بدراستها مستقلة عن الأوضاع التي تمخضت عنها، بل إنّ الحوار الذي جرى بين الفيلسوف بيدبا ودبلشيم الملك، وكلّ القصص التي قام بسردها "بيدبا" لا يمكننا فهمها إلا بالعودة إلى السّياقات التي أتت فيها، خاصة أنها أتت على لسان الحيوانات، هذا ما يجعلها أكثر غموضا وأكثر فلسفة.

وانطلاقا من قراءاتنا لكتاب "كليلة ودمنة"، واطّلاعنا على المناهج الحديثة، خاصة التّداولي منها، تبلورت لدينا إشكالية لمسناها أثناء قراءتنا، وهذا ما جعلنا نطرح عدة أسئلة تعدّ من أبرز الأسئلة التي يستطيع المنهج التّداولي أن يجيبنا عليها من خلال مدونتنا "كليلة ودمنة". ولعل أهم سؤال نطرحه هو ما هي طبيعة العلاقة التي تحكم الباث بالمتلقي والنص؟ بمعنى ما هي العلاقة التي تحكم "بيدبا الفيلسوف" " بدبلشيم الملك"؟ كيف تجلت علاقة الحكمة بالسّلطة؟ وما هو دور السياق في الكشف عن هذه العلاقة؟.

---

[1] -Jean Dubois: dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse , 1973 , P.P 120-121.

ما هي طبيعة الحجاج الفلسفي التّداولي الذي نلمسه في النّص؟ وهذا باعتبار نوعيـة هذا الحجاج الذي هو فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرّأي المعروض أو ببطلان الرّأي المعترض عليه، خاصة إذا ما علمنا أنّ الخطاب كلّه منبعه فيلسوف حكيم مسعاه هو إقناع السّلطان والتأثير فيه للتّغيير من طبيعة حكمه الاستبدادي. وإذا كان للسّلطة تأثير كبير في عملية الإقناع، فإنّنا في كتـاب "كليلـة ودمنة" نلاحظ العلاقة عكسية، بمعنى فيلسوف ضعيف من الرّعية، يسعى للتّأثير على سلطان من الجبابرة، هذا ما يجعل طبيعة الحجاج في الخطاب متميزة. كما لاحظنـا أيضّـا، ظـاهرة التّأطير في نصوص "كليلة ودمنة"، بمعنى نص يضمن نصا آخر، وهذه الطّريقة يستعملها الفيلسوف لتوضيح النّصوص المضمنة أي النّصوص الإطار. وهذا داخل في باب الحجاج والإقناع، بمعنى يحكي قصة ويضمنها قصة أخرى لتكون المحاججة أكثر تركيزا. ولذلك سنعكف على رصد الآليات التي تؤسس لهذه الظواهر في النص في علاقتها بالسياق.

كما لمسنا أيضا في كتاب "كليلة ودمنة" ظاهرة أخرى، وهي ظاهرة "التشخيص"، وهـي جعل الكلام على ألسنة الحيوانات، وبالتّالي جعل هذه البهائم والعجماوات مؤنسنة، وهـي ظاهرة لم توضع هكذا اعتباطا، بل وضعت لهدف مقصود. فنجد المؤلف يسقط على هذه الحيوانات صفات مختلفة، وجعلها تتصرف وتتحدث كالإنسان، هذا ما يجعلنا نطرح سؤالا آخر، لما هذا التّلميح في شخصيات "كليلة ودمنة "؟

هذا الجانب يمكن دراسته من منظور تداولي آخر، يمكن إدراجه في نظرية قوانين الخطاب أو مسلمات المحادثة، مثل الأقوال المضمرة، وهذا الجانب الذي يسعى إلى دراسة كيفية انتقال الدّلالة من المستوى الصّريح إلى المستوى التّلميحي لعدة اعتبـارات تـدخل خاصّة في السّياق. والظروف المنتجة للنّص.

إنّ اختيارنا هذا الموضوع، لم يكن هكذا، بل رغبة منّا في التّنقيب في تراثنـا الأدبـي العربي، الثّري جدا بمادته الخام، فاخترنا مدونة "كليلة ودمنة"، أولا للاستمتاع بقراءتها، واستخراج الحكم والأمثال التّربوية التي صيغت من أجلها، وثانيا من أجل تسـليط الضّـوء عليهـا وإعادة قراءتها من زاوية أخرى، وذلك بالاعتماد على المناهج الحديثة، هذا بالرّغم مـن وجود دراسات سبقتنا إلى المدونة، ولكنّها وباختلاف الزّوايا التي درست من خلالها، فمن

باحث في مجال تأصيل "كليلة ودمنة"، وآخر في إدراجها ضمن قصص الحيوان، إلا أننـا لاحظنا بعض التّقصير في دراسة "كليلة ودمنة" في ضوء المناهج الحديثة.

وعليه فإنّنا نحاول متابعة الفكر النّقدي المعاصر بالرّجوع إلى تراثنا العربي، وهذا ليس لهدف إيديولوجي عقيم، بل إيمانا منّا بأنّ تقدّم الفكر قد لا يـتمّ أحيانـا إلا بـالعودة لزيارة تراث الذّات «**زيارته من أجل فهم، ليس فقط ما قيل بالفعل، ولكن كذلك ما كـان يمكن أن يقال، أو على الأقل ما يمكننا قوله اليوم (وربما اليوم فقط) اِنطلاقا مما قيل من قبل**»[1].

إن استحكام "السياق" كأداة إجرائية في تحليل خطابات "كليلة ودمنة"، أفضى بنا إلى تقسيم بحثنا هذا إلى ثلاثة فصول، مهدنا لها بمدخل ناقشنا فيه، مصطلح "السياق" وعنونّاه بـ "**سياق الخطاب**" حيث قمنا في هذا المدخل بدراسة معنى مصطلح "السياق" من خـلال المعاجم العربية التي ينحصر فيها "معنى السياق" في إطاره اللغوي الضيق، ومن خـلال المعاجم الغربية المتخصصة، والتي أعطت المصطلح معنى أعمق وأوضح من التعريـف العربي، كما قمنا أيضا بتقصي معنى "السياق" من خلال الدراسات الغربية التي تتمحـور خاصة في دراسات تحليل الخطاب، والتي تعتبر السياق أداة إجرائية ناجعة، تساعد بشكل كبير في كيفية تأويل مقاصد الخطابات من جهة ومقاصد المخاطبين من جهة أخرى.

أما الدراسات العربية فقد تمكننا من دراسة "السياق" من خلال دراسات علماء اللغة العربية، سواء باحثين في خصائص اللغة العربية، أو من خلال دراسات علمـاء أصـول الفقه في مباحثهم المشتقات من علم الأصول، حيث يعتبرون أنّ المعنى الدلالي في فهـم ظاهر القرآن وباطنه، يعتمد على المعنى المقالي والمعنى المقامي معا.

خصصنا الفصل الأوّل، والمعنون بـ"**عتبات السياق**" للحديث عن العنوان "كليلـة ودمنة" باعتباره عتبة سياقية أوّلية، بها يمكن الولوج إلى عوالم النص، ثم درسنا أقطـاب العملية التّواصلية، باعتبارها كذلك العناصر الأساسية الفاعلة في هذا الخطاب.

[1]-U.ECO, Sémiotique et philosophie du langage, Paris, PUF, 1993, P13.

أما الفصل الثاني المعنون بـ **"العملية التّواصلية واستراتيجية التّحاور"،** فتعرضنا فيه لسياق الاستراتيجية التّلميحية التي كانت طاغية في حكايات "كليلة ودمنة"، فحاولنا أن نقف في مختلف الملمحات التي وظّفها "ابن المقفّع"، اعتمادا على قوانين الخطاب وكيفية تمظهرها في الحكايات، ثم درسنا الافتراضات المسبقة باعتبارها الآليات التي اعتمد عليها "ابن المقفّع" لكي يأتي خطابه على شكله المقنّع، وهذا راجع بالطبع إلى تدخّل السياق الثّقافي والاجتماعي الذي أُلفت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، ثم عمدنا إلى دراسة تقنيتي الإمتاع والإقناع، التي وظّفها "ابن المقفّع" كذلك لكي يكون خطابه أكثر تأثيرا على متلقيه.

وكان لزاما علينا في الفصل الثالث والمعنون بـ **"المقاصد العامة وسياق العصر"** أن نقف على مقصدية المؤلف، وبمساعدة السياق الخارجي، أي سياق عصر المؤلف، أفضت بنا الدراسة إلى تحصيل الأغراض الأساسية التي قصدها "ابن المقفّع" في "كليلة ودمنة".

أما أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، كتاب "عبد الهادي بن ظافر الشهري" المعنون بـ "استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)"، الذي فتح لنا المجال في فهم النظرية التداولية بشكل عميق، ثم كتابي "طه عبد الرحمان" اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" و"أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، ثم كتاب "حنا الفاخوري" "تاريخ الأدب العربي"، ود/ عبد الأمير شمس الدين" في كتابه "الفكر التربوي عند ابن المقفّع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب"، اللذان فتحا لنا المجال للوصول إلى أغراض "ابن المقفّع" في كتابه "كليلة ودمنة". بالإضافة إلى اعتمادنا على كتب مترجمة وأخرى غير مترجمة.

واجهتنا عدة عراقيل وصعوبات، أثناء قيامنا ببحثنا هذا، نذكر منها قلة المراجع فيما يخص موضوع التداولية، وإن وجدت فباللّغات الأجنبية، الأمر الذي صعّب علينا ترجمة الكثير من المصطلحات فيما يخص هذا المجال، إضافة إلى قلة المراجع التي اهتمت بتحليل كتاب "كليلة ودمنة"، باستحكام آليات الدراسات الحديثة وهذا إن لم تكن منعدمة، الأمر الذي جعلنا نعتمد على المصدر بشكل كبير جدا.

في الأخير نتوجّه بشكرنا الكبير للأستاذة المشرفة "آمنة بلعلى" التي كان لها الدور الكبير والفعّال في إتمام هذا العمل.

كما نقوم بتوجيه شكرنا الخالص إلى اللّجنة التي قامت بقراءة عملنا هذا.

تقديم المدونة:

يعود اختيارنا لمدوّنتنا، هذه إلى عدّة خلفيات راعيناها، أثناء الشروع في تحليل كتاب "كليلة ودمنة" ولبروز خصوصيات كثيرة سنأخذها بعين الاعتبار في التحليل، وهذا لأنّنا سوف نقوم بتحليل السياق في مدونتنا هذه من خلال أبرز النظريات الحديثة التي عنيت بهذا المصطلح بكل جوانبه، ألا وهي النظرية التّداولية.

ولعل من أبرز العناصر التي يتميز بها كتاب "كليلة ودمنة" هو عنصر الحوار بكل أبعاده، الذي نجده عادة في المسرحية، فتكاد القصص- المتضمنة في هذا الكتاب- تكون كلها بمثابة مشاهد من مسرحيات مختلفة، كل واحدة منها تحكي لنا عن مثل معيّن يسوقه الفيلسوف (بيدبا) للملك (دبشليم) بواسطة حكايات تتضمّن شخصيات رمزيّة، وهي حيوانات تدور بينها حوارات حول مختلف القضايا التي عرضها "ابن المقفّع" في هذا الكتاب حتّى أنه بإمكاننا تقسيم الأبواب التي وردت في الكتاب إلى فصول ومشاهد مسرحية، تزدحم فيها التحليلات النّفسية، كباب "الأسد والثور" وباب "الأسد وابن آوى الناسك".

وخصوصية الحوار في "كليلة ودمنة"، تكمن في إظهاره اللغة بمستواها التفاعلي والتّواصلي ويكشف عن عنصر الذّاتية الموجود فيها، كما يمتاز كذلك بميزة "الإقناع" كاستراتيجية، يسعى من خلالها الفيلسوف، للتّأثير على الملك (دبشليم)، هذا في مستوى الحوار الذي أردنا تسميته "بالحوار الإطار"، ثم تأتي باقي الحوارات المضمنة في باقي حكايات "كليلة ودمنة".

ويندرج خطاب "كليلة ودمنة" ضمن جنس الخرافة[1] (الحكاية على لسان الحيوان)، وهي حكايات ذات طابع خلقيّ وتعليميّ في قالبها الأدبيّ الخاص بها، وهي تنحو منحى الرمز- في معناه اللّغوي العام لا في معناه المذهبي – ومعناه أن يعرض الكاتب أو الشاعر

*واسمها في اللاتينية Fabula، أي الحكاية أو الخرافة، وأصبحت هذه الكلمة اللاتينية في اللغة الفرنسية وفي الانجليزية: Fable واسمها في اليوناني Apologos ، أي الحكاية ذات مغزى خلقي، واسمها الديني المسيحي على حسب الإنجيل: Patabola، وهي كلمة دينية معناها الأصلي: المقارنة، ثم إن صاحب "الفهرست" "ابن جني" ومن نحو نحوه يسمونها في العربية: الخرافة، ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 2004.

شخصيات وحوادث، على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة. بحيث يتبع المرء في قراءتها صور الشّخصيات الظاهرة، التي تشف عن صور شخصيات أخرى تتراءى خاف هذه الشخصيات الظاهرة، وغالبا ما تحكى على لسان الحيوان أو النبات أو الجماد، كما أنها تحكى أيضا على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزا لشخصيات أخرى[1].

يعود أصل الكتاب إلى الهند، فأصله مكتوب باللغة السنسكريتية القديمة، وقد ذكرت فيه أسماء هندية وعادات بوذية، كالإمتناع عن أكل اللحم وغير ذلك، كما أنّ فيه قصـص تلائم العقل الهندي والخلق الهندي، والأساليب الهندية في الكلام والرواية، ويقال أنّ هـذه الحكايات الفارسيّة والهنديّة الموجودة في كتاب "كليلة ودمنة"، سعى إليهـا ملـك فـارس "كسرى أنو شروان" في القرن السادس للميلاد، فأرسل "برزويه"، أحد حكماء بلاده، ليأتيه بها، فتجشم في سبيل ذلك مشقة، ولمّا جاء طلب منه نقلها إلى اللغة الفهلوية ثم احتفظ بهـا في خزانته[2].

وبعدها عرض الكتاب "لعبد الله ابن المقفّع" – الفارس الأصلي – في القرن الثامن للميلاد (8م)، فنقله إلى اللغة العربية نحو سنة (750م)، ومنها نقل فيها بعد إلـى لغـات العالم، حتى الفارسيّة منها، لأنّ الأصل الفارسي القديم قد ضاع، ولأنّ التّرجمة السّريانية القديمة بقيت مدة طويلة ضائعة[3].

وبهذا فإن الباحثين اتفقوا على أنّ القصص الواردة في كتاب "كليلة ودمنة" تندرج ضمن ثلاثة أصول هي: الأصل الهندي الذي يعود الى كتاب "بنج تنتـرا" أي الـدروس الخمسة" الذي ألفه البرهمي "وشنوشرما" – وإن كانت بعض قصصه وجدت فـي كتـب بوذية أخرى، أمثال: "إسواهي" و"كرماجتكا"- وإلى كتاب: "المهابهاراتا" الهندي، وأصـل

[1] - ينظر: محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة وللنشر والتوزيع، مصر 2004، ص148.

[2] - ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط10، المكتبة البوليسية، لبنان 1980، ص 446.

[3] - المرجع نفسه، ص 450.

فارسي هو قصص ضمّها النقلة الفرس إلى الحكايات الهندية حيث ترجموها من اللغة السنسكرستية إلى اللغة البهلوية (اللغة الفارسية القديمة)[1].

وهناك قصص أخرى في الكتاب مشكوك نسبها إلى المصدرين السابقين (الهندي – الفارسي)، قيل أن "ابن المقفّع" وضعها أو عدّل في ترجمتها، فبدت مخالفة لأصلها، مثل "باب برزويه المتطبب" و "باب الفحص عن أمر دمنة"، لما فيه من روح إسلامية، و"باب الناسك والضيف" ومثل "الفيل والقنبرة"[2].

وقد ذكر أن الاسم السابق للكتاب الهندي "بنج تنترا" هو "نيتي شاستر"، أي "كتاب السياسة" وبعد ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية، أختير له اسم "**كليلگ و دمنگ**" وهما البطلين الرئيسيين في باب "الأسد والثور"، وقد حور الاسمان عن اللغة السنسكريتية حيث كانا: "كرتكا ودمنكا"، وحين نقل الكتاب إلى اللغة العربية، أستبدل حرف الكاف في كل منهما هاء فصارا: "كليلة ودمنة"، وقد افترض بعض الباحثين أنّ اللفظين عربيان، اختارهما "ابن المقفّع" لدلالتهما على شخصيتي البطلين المذكورين[3].

يتضمن كتاب "كليلة ودمنة" خمسة عشر بابا، بعد المقدمات الأولى، وهي "مقدمة علي بن الشاه الفارسي" و "عرض الكتاب لابن المقفّع" و "بعثة برزويه إلى بلاد الهند" و "باب برزويه المتطاب" "فمقدمه" علي بن الشاه الفارسي" تحكى لنا عن بعض الأساطير التي خلّفتها فتوح الإسكندر المقدوني في الشرق والمراد من وضع هذه المقدمة هي الإبانة عن السبب الذي لأجله ألّف هذا الكتاب – كليلة ودمنة- كذلك أريد بها التعريف "بدبشليم" الملك و"بيدبا" الفيلسوف.

أما "مقدمة ابن المقفّع" في الكتاب فتتضمّن تعريفا "لابن المقفّع" بالكتاب، ونسبه إلى واضعيه الأصلّيين، وحدّد وجهته والغاية من تأليفه، يقول "ابن المقفّع" في ذلك: **«وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنّه ينقسم إلى أربعة أغراض: أحدهما ما**

1- ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط10، المكتبة البوليسية، لبنان 1980، ص 447.

2- ينظر: عبد الله ابن المقفع: كليلة ودمنة، تحقيق وتقديم: محمد أمين فرشوخ، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1990، ص17.

3 -ينظر: المصدر نفسه، ص18.

قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة، من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءاته، فتستمال به قلوبهم، لأن هذا هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الإصباغ والألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور، والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام، وليتنفع بذلك المصور والناسخ أبدا، والغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة.»[1].

وبهذا فإنّ كتاب "كليلة ودمنة" يفهم عند "ابن المقفّع" بوجهين، الأول وهو الحكمة التي تضمنها في قالب متميز لم يسبق أن عرف الأدب العربي مثله، والثاني وهو اللهو الذي يثيره أشخاص الحكاية في المثل الخرافي والأول غاية والثاني وسيلة.

أما بالنسبة للأبواب، فإن الكتاب ينقسم إلى عدة أبواب، كل باب يحكي عن أمر ما، يريد الملك أن يعرفه وكل باب يحوي أمثالا معينة، فأولى هذه الأبواب هو باب "الأسد والثور"، حيث يشرح لنا فيه الفيلسوف (بيدبا)، ما يجري في البلاط والحياة من مكائد وسعايات، كما يبيّن لنا أخطاء الملك وغروره في سوء اختياره الذين يقربهم منه ويأتمنهم على أسراره، فيما يخص دولته وأموره الشّخصية، وقلّة تبصره في الإصغاء لوشاية المحتالين، وما ينتج عن كل ذلك من جرائم وظلم في حق النّاس، فكان من أمر الكذوب المحتال "دمنة" أن قطع بين المتحابين (الأسد والثور) حتى حملهما على العداوة بعد الصداقة، حيث لقي "الثور" من هذه العداوة ضررا كبيرا.

وظّف "ابن المقفّع" في هذا الباب سبعة عشر مثلا، مدعما بها طرحه للأفكار، وتوظيفه للمثل من قبيل الإقناع، ومحاولته لإيجاد الصيغة المنطقيّة لما يطرحه من أفكار، فرغم أن الفيلسوف الحكيم "بيدبا" هو الذي يسعى إلى الإقناع – إقناع "دبشليم" الملك- بطرحه للقضايا، إلاّ أن الحقيقة هي محاولة "ابن المقفّع" إقناع المتلقي بتوظيفه لهذه الحكايات والأمثال، كتقنيات ناجعة في عملية التواصل، بل أكثر من ذلك وظفها كحجاج لإقناع الآخر.

---

1 - عبد الله ابن المقفع: كليلة ودمنة، مراجعة وتعليق الأستاذ عرفان مطرجي، ط1، دار الفكر، لبنان 2005، ص67.

أما باب "الفحص عن أمر" دمنة" : فيحكى لنا عن محاكمة "دمنـة" وكيـف لقـي مصرعه جزاء لما فعله من إفساد صداقة الأسد والثور، بالنميمة والاحتيال ويلخص هـذا الباب في القيمة الأخلاقية القائلة: **« للباطل جولة وللحق دولة »**.

وفي باب "الحمامة المطوقة": يحكى عموما أمورا عن الصداقة، ومدى إمكانها بين المتنافرين المتضادين.

وباب "البوم والغربان": يطرح أمورا في السياسة الخارجية، والحرب بين الملـوك وبين الأمم واستطلاع أخبار العدو، ويوضح مكان الحيلة من السياسـة، وكيـف يعامـل العدو، وكيف يجب اللجوء معه إلى الحذر مهما أظهر من تضرع وتملق.

ثم يأتي باب "القرد والغيلم": ويحكي لنا عن عواقب الغباوة، وكيف يطفـو معهـا صاحب الحاجة بحاجته فيضيعها، وصاحب الحاجة بحاجته فيضيعها، وصـاحب الفطنـة كيف يقع صاحبها في ورطة فيتخلص منها.

أما باب "الناسك وابن عرس": يلخص لنا مثل الرجل المتسرع في أمور من غيـر روية ولا بعد نظر، فهو أبدا نادم.

وباب "السنور والجرذ" : يوضح لنا معنى الحكمة في التماسك والموالاة والصـلح أحيانا، ويوضح لنا أيضا الفرق بين الصداقة الحقيقية وتلك التـي تُبنـى علـى الحاجـة والضيق.

وباب "الملك والطير فنزة": يدور حول الثأر والانتقام، وحيـث يتّقـي أصـحابهما بعضهم البعض، وأن يتقوا بعضهم البعض.

وباب "الأسد وابن آوى الناسك": يمثل الرجوع إلى الصداقة بعد العداوة، وعلاقـة الملوك فيما بينهم وبين جلسائهم، وملخص ذلك أن من واجب الملك أن يراجع من أصابته جفوة أو عقوبة عن جرم أو ظلم، ولاسيما إذا كان ذلك الشخص ممّن يستعان به ويوثـق برأيه.

ثم يأتي باب "الأسوار واللبوءة والشعهر": ويمثل للإنسان الذي يدّعي ضرّ غيره، إذا قدر عليه، بما يصيبه من الضرر، ويكون له بما ينزل عليه واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره.

أما باب "إيلاذ وبلاذ وإيراخت": فهو باب هندي بوذي، يمثل العداوة القائمة منذ زمن بعيد بين البراهمة والبوذية، وهو قسمان، القسم الأول يحكي قصة الأحلام الثمانية التي رآها الملك وتأويلها، والقسم الثاني يحكي عن المحاورة بين الملك ووزيره، وفي هذا الباب يسأل "دبشليم" الملك، الفيلسوف "بيدبا" عن الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه، ويحفظ ملكه، ويثبت بها سلطانه، ويكون ذلك رأس أمره وملاكه: الحلم، أم المروءة، أم الشجاعة، أم الجود؟

وباب "الناسك والضيف": يمثل من يترك ما في يده ليطلب غيره، فيضيع هذا وذاك، ووظف فيه مثل واحد وهو مثل الغراب والحجلة.

أمّا باب "السائح والصائغ": فهو باب يصدق عليه قول "اتّق شرّ من أحسنت إليه"، كذلك يبيّن تصرّف صنفين من الناس، صنف يشهد ويحفظ المعروف، وصنف آخر يكفر به ويسيء إليه، وبشكل عام يمثّل هذا الباب صنع المعروف في غير أهله، كما يبيّن في الوقت نفسه من يستحقّ المعروف والثقة، والمثل الموظّف في هذا الباب هو مثل الحية والقرد والببر.

والباب قبل الأخير هو "باب ابن الملك وابن الشريف وابن التاجر وابن الأكّار": وهو باب يجري عموما حول عنصري القضاء والقدر.

والباب الأخير هو "باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين": ويحكي لنا عن الشخص الذي ينفع برأيه الآخرون وهو لا ينتفع به.

هذا باختصار عرض مبسط للأبواب التي يحتويها كتاب "كليلة ودمنة" الذي يتضمّن عموما تفصيلا لواجبات الراعي تجاه رعيته، وواجبات الرّعية تجاه راعيها، ومـا يجـب على كل إنسان أن يحافظ عليه من جهة الصّداقة والصّدق فـي القـول والعمـل، وكـلّ الممارسات اليوميّة التي يقوم بها كآداب الضّيافة وآداب المحادثة، ووجـوب اسـتحكامه العقل عندما تعترض سبيله مشاكل تستدعي الحكمة وإعمال الفكر، وتبيان مـدى نجاعـة الاستشارة أو طلب المشورة من ذوي الرّأي الصالح.

المدخل

سياق الخطاب

تعدّ إشكاليّة تحديد المعنى من بين أهم المواضيع التي خاض فيها الدّارسون اللّغويون، هذا ما جعلهم يبحثون في الكشف عن الآليات التي بإمكانهم استعمالها للوصول إلى الفهم الجيّد للمعنى الذي يحمله أي نص أدبي، فانطلقوا أولا من المعجم وأقرّوا على أنّ القواميس كافية لتحديد معاني المدلولات، إلاّ أنّ هناك من يرفض هذا الاتجاه مفسرا ذلك أنّ القاموس لا يستطيع أن يحصر جميع السياقات التي تقع قبلها كل كلمة.

ولمّا كان نظام اللّغة متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوحا دوما على التّجديد والتّغيير في بنياته المعجميّة والتّركيبية، حتى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها، ظهرت نظريات أكدّت بأنّ للسياق دورا هاما في منح الكلمة مفهومها الخاص.

وإذا كان منهج النّظرية السياقية يعدّ من المناهج الأكثر موضوعية ومقاربة للدّلالة، فهذا ما يجعلنا لا نستغرب إذا ما أثبت أنّ الاهتمام والبحث والتّنظير لمصطلح السياق Le contexte كان وليد علم الدّلالة اللّغويLa sémantique linguistique[1]، الذي يعتبر علما حديثا بمقارنته مع العلوم اللّغوية الأخرى. وقد كان اهتمامه بالمعنى الشّيء الذي أفضى به إلى اهتمامه بالسياق كأداة إجرائية تلعب دورا هاما في تحديد المعنى، ولأنّ السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدّلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها الباث، ومن أجل هذا نجد المهتمين بعلم الدلالة قد اتفقوا على أنّ للكلمة معنى قاعديا Le sens de base، ومعنى سياقيا Sens contextuel.[2]

وبما أنّ مفهوم السّياق contexte * تطوّر، إذ لم يعد يقتصر على الجانب اللّغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللّغوية، وإنّما وجدت جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة

1- ينظر: علي أيت أوشان: **السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2000، ص15.

2 - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* يتكوّن مصطلحcontexte من مقطعين con+texte أي من النسج، استعمل المصطلح أولا ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم استعمل بعد ذلك في معنى النص، أي تلك المجموعة من الكلمات المتراصة مكتوبة أو مقروءة، ثم أصبح المصطلح يعني ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغوية. ينظر: كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه)، ج1، دار غريب، القاهرة 2000، ص ص97-98.

المقصودة للكلمة، كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التّواصل، أو الملامح الفزيولوجية النّفسية للمتكلم التي تصاحبه أثناء الحديث.

ارتأينا في المدخل أن نتحدث عن مفهوم "السياق"، انطلاقا بتعريفه من خلال المعاجم العربية والمعاجم الغربية، لنبين الفرق الموجود بينها في تعريف هذا المصطلح، ثم سنحاول أن نتطرّق لهذا المصطلح من خلال المناهج الحديثة كاللسانيات النّصية وتحليل الخطاب والتّداولية، لنصل إلى البحث عن معنى "السياق" في التّراث العربي من خلال أعمال وبحوث الأصوليين واللّغويين العرب.

1- تعريف السياق من خلال المعاجم العربية والغربية:

لقد اهتمت القواميس بمختلف مشاربها بتعريف كلمة "السياق" بأشكال مختلفة، فهناك مثلا قواميس غير متخصصة عالجت المصطلح بشكل عام غير دقيق، في حين نجد بعض القواميس الأخرى المتخصصة في مجالات عديدة مثل اللسانيات والسيميّائيات والتّداولية، تعرّف مصطلح "السياق" بشكل دقيق ومتخصص راعية بذلك نوعا من الوعي النّظري والمنهجي.

والقواميس العربية نجدها تعرّف مصطلح "السياق" بشكل مختلف، بحيث إنّنا لا نجد معنى هذا المصطلح نفسه في كل القواميس، ولا نجدهم يقتربون من التّعريف الحديث الذي ساقته المناهج الحديثة، بل يكاد تعريفهم للسياق ينحصر في إطاره اللّغوي الضّيق.

ومن معاني السياق عند العرب ما أورده "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب" حيث أدرج لفظ السياق في مادة "سوق" فيقول: **« ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق [...] وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه [...] وساق خلال من اِمرأته أي أعطاها مهرها، والسياق: المهر [...] وساق بنفسه سياقا:نزع بها عند الموت، ويقال فلان في السياق أي في النزع (أثناء الموت) والسياق: نزع الروح»**[1].

1- ابن منظور: لسان العرب، ج3، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت 1988، ص242.

نلاحظ أنّ معنى مادة "السياق" عند "ابن منظور" جاءت في ثلاث معان وهي: قاد، أعطى ونزع.

أمّا "الزّمخشري" في معجمه "أساس البلاغة" فنلاحظ أنّه أعطى دلالة أخرى للفظ السياق، أوردها في الاستعمال المجازي للّفظ، حيث ربط بين لفظ السياق والحديث (الاستعمال)، فيقول في مادة "سوق" أنّ : **« سوقَ، ساق النّعم فانساقت، ومن المجاز: ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر [...] وساقت الريح السحاب، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، "وإليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقة إلى كذا وجئتُك بالحديث على سوقِه: أي على سرده»**(1).

فالزّمخشري رغم تفطنه إلى العلاقة القائمة بين السياق والحديث إلاّ أنّه لم يخرج عن الإطار الذي عرفت من خلاله مصطلح "السياق" القواميس العربية.

كما نجد أيضا معجم "الوسيط" يحذو حذو المعجمين الأوّلين، فرغم اعتباره المعجم العربي الذي حاول التّجديد والتّغيير في الأسس التي اعتمدتها الدراسات المعجميّة العربية السابقة، إلاّ أنّه لم يقدم لنا شيئا جديدا، بخصوص لفظ "السياق" حيث يعرّفه على أنّه **«المهر، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، والسياق: النّزع، يقال: هو في السياق: الاِحتضار»**(2).

هذا فيما يخصّ تعريف المعاجم العربية لمادة "السياق"، أمّا المعاجم الغربيّة فنجدها تحدد لنا مصطلح "السياق" بنوع من التّعمق لأنّها معاجم متخصِصة، فنجدها تحيط هذا المصطلح بكل جوانبه التي تكونه.

فالباحثة "جوزيت راي دوبوف" مثلا تعرف "السياق" في معجمها السيميائي (Lexique Sémiotique) (3) فيأتي في معنى قولها، على أنّ سياق علامة ما (Signe)، رسالة ما

1- أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرّحيم محمود، دار المعرفة، بيروت 1979، ص225.

2- معجم الوسيط، تأليف: **مجموعة من المؤلفين (مجمع اللّغة العربية)**، ج1، ط2، مطابع دار المعارف، مصر 1972، ص465.

3 - Voir : Josette Ray-Debove : **Lexique sémiotique**, 1ere édition, Presse universitaire de France (PUF), Paris, 1979, P35.

(Message)، هو إنتاج دلالي أين يتمظهر المحيط فيها واسعا أو ضيقا، وهو المقام الذي يعطي لها دلالة محدّدة (سياق لغوي، موسيقي، هندسي،...)، وتركز الباحثة كثيرا على السّياق المقاميّ (Le contexte situationnel)، والذي تعتبره المقام (حالة الأشياء، أو المرسل والمرسل إليه) الذي تنتج ضمنه الرّسالة، والسياق المقاميّ عند "راي دوبوف" يكون في بعض الأحيان الوحيد والضّروري لفك مختلف الغموضات التي يمكن أن تحويها الرسائل.

أمّا مصطلح " السياق" في "معجم السّيميائيات" لـ "غريماس وكورتيس"، فهو مجموع النّصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبيّة معّينة وتتلّعق بها الدلالة (La signification)، حيث يمكن له أن يكون صريحا (Explicite) أو لسانّيا، ويمكن أن يكون ضمنيّا (implicite) ويتميّز في هذه الحالة بأنّه سياق خارج لسانيّ (extra linguistique) أو مقاميّ (Situationnel)، وقد ذكر الباحثان في نفس السياق، أنّ جاكبسون في التّرسيمة التي حدّد بها الوظائف التّواصلية، وضع السياق كعنصر من أهمّ العناصر التي تشكل النّشاط اللّغويّ وماثلة بالمرجع، " إنّها الوظيفة المرجعّية للّغة" والتي تعتبر ضروريّة في توضيح الإرساليّة، سواء كان السياق منطوقا أو قابلا للنّطق[1].

ونجد تعريفا آخر عند "جورج مونان" في "قاموسه اللساني"، الذي يركّز كثيرا على السياق اللّساني، فيقول على إنّ "السياق" هو علامة شكلّية موجودة في المحيط اللساني الحق، ويعتبر السياق على أنّه ترجمة بواسطة أساليب (l'entourage linguistique) محضة لسانية، والتي تشارك في المقام لفهم الرّسالة، ويبين لنا ذلك بالمثال الآتي: في حالة ما إذا وضعنا قلما فوق طاولة، نقول: أعطه لي، في حين نكتب العكس: أعط لي القلم الذي فوق الطاولة، فنفهم الحالة الثّانية بتدخّل السّياق اللّساني الذي يفكّ الغموض الموجود، وحتى في حالة الجناسات، مثلا عندما نقول: "إمرأة قاتلة"، و"حادث قاتل"، فالمرأة والحادث يلعبان دور السّياق ويستدعيان فهما في بعض الأحيان يكون استعاريا

1 - Voir : J.Grimas, J.Courtes : **Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage**, Hachette université, PP16-67.

(Métaphorique)، والأحيان الأخرى حرفيا (Littérale) للفظ "قاتل"، وفي كل حالة الفهم المختلف لـ كلمة "قاتل" يحقق من خلال السياق(1).

وفي القاموس الموسوعي لعلوم اللّغة لكل من "ديكرو وتودوروف" (2) نجد نوعا من التّوسّع والإحاطة الكاملة "بلفظ السياق"، حيث يربط الباحثان مصطلح السياق بمقام الخطاب، الذي هو عبارة عن مجموع الملابسات التي يتحدّد في إطارها فعل التلفّظ L'acte d'énonciation سواء كان مكتوبا أو شفويّا، وينبغي أن يفهم حسب"ديكور" على أنّه المحيط الماديّ والاجتماعيّ الذي يأخذ فيه هذا الفعل مكانه، وهو الصّورة المتبادلة بين المتخاطبين وهو يتهم والفكرة التي يحملها كلّ واحد عن الآخر ومجموع الأحداث التي تسبق فعل التلفّظ، كما يربط "ديكرو" مصطلح "السياق" بما هو لغوي محض، أي بالوحدات الصّوتية و المعجميّة التي تسبق أو تلحق الملفوظ.

وتكمن أهمية معرفة المقام عند "ديكرو"، لأنّه يكون ضروريا لتحديد:

أ- مرجع التّعابير المستعملة، كالإشاريات:Les déictiques
(أنا- أنت- هذا- هنا- الآن...)

ب- الاختيار بين التّأويلات المختلفة للملفوظ الغامض.

ج- طبيعة الفعل الكلامي المنجز بحكم أنّ طبيعته التلفظية أو قيمته قد تختلف عن طبيعته الواقعية أو المسموعة مثلا: الملفوظ " سنذهب إلى باريس غدا" قد يفهم على أنّه (وعد أو خبر أو أمر) وذلك بحسب العلاقات الموجودة بين المتكلمين والقيمة المرتبطة بالذهاب إلى باريس.

د- الخاصّيّة العادية أو غير العادية للملفوظ**:** حيث يمكن لملفوظ ما أن يكون عاديا في مقامات معيّنة ومتغيّرا في أخرى وبذلك يأخذ قيمة خاصّة[3].

وبهذا فإنّ"ديكرو" يلحّ على المقام باعتباره عنصرا مهما في تحديد المعنى، كما يلحّ كذلك على عدم إغفال مختلف الأنماط المقاميّة التي يستعمل فيها الملفوظ.

---

1 - Voir : G.Mounin : **Dictionnaire de la linguistique**, 4eme édition, PUF, France, 2004, P83.
2 - Voir : O. Ducrot, T.Todorov : **Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,** Ed.Seuil, 1972, PP417-422.
3- Voir : O. Ducrot, T.Todorov : **Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,** 422.

ويعرف "جون دوبوا" "السياق" في "قاموس اللّسانيات" على أنّه المحيط L'environnement، أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محدّدة، ويسمّى بالسياق أو السياق الشّفوي. ويعرفه كذلك على أنّه **« جمل الشّروط الاِجتماعية التي تؤخذ بعين الاِعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاِجتماعي واِستعمال اللّغة [...] وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثّقافية والنّفسية والتّجارب والمعلومات الشّائعة بينهما»** (1). فنلاحظ أن"جون دوبوا" قد ركّز كثيرا على العناصر خارج لسانية، في تحديده "للسياق" ألا وهي الشّروط الاجتماعية التي يتحقّق فيها الخطاب،بين المرسل والمتلقي في زمان ومكان معيّنين، وهذا ما تذهب إليه النّظرية التّداولية اليوم، حيث تعتبر **« نظرية اِستعمالية، تدرس اللّغة في اِستعمال النّاطقين بها، ونظرية تخاطبية تعالج شروط التّبليغ والتّواصل الذي يقصد إليه النّاطقون من وراء الاِستعمال للّغة».**(2)

أما "مانڤـونو" في قاموسه" المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب"(3). فيعرف السياق من خلال "تحليل الخطاب" هذا الذي يربط الملفوظات بسياقاتها، ويسعى إلى إدراك الخطاب على شكل نشاط لا يفترق عن سياقه، ويقرّ كذلك "مانڤـونو" على صعوبة الاتفاق حول طبيعة مركّبات السياق، هذا بالإضافة إلى المشاركين، المكان، الزمان، الهدف، الموضوعThème، نوع الخطابLes genres de discours، القناة. فإنّ المحاور يستعمل قواعد حول أدوار الكلام المستعملة في جماعة ماcommunauté، كما يتضمّن أيضا معارف المشاركين حول العالم، معارفهم المحترمة لبعضهم البعض، والمعرفة الخلفيّة للمخطّط الثّقافي للمجتمع أين يتمظهر الخطاب. ويقرّ أيضا على المشاركين في الخطاب، محاطين بجانب زمكاني Spatio – Temporel هدفهم بذلك المشاركة في التّلفظ بطريقة ثابتة عن طريق مؤسّسات لغويّة Institutions langagières معرفة بمصطلح التّعاقد الكلاميّ Contrats de parole أو بأنواع الخطاب. والشّيء الملاحظ في تعريف "مانڤـونو" هو طرحه لإشكاليّة مركّبات السياق، وبالتالي صعوبة الوصول إلى التّعريف الكامل لمصطلح

1 -J. Dubois : **dictionnaire de linguistique**, Larousse, paris 1973, pp120-121

2- راضية خفيف بوبكري: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مقارنة تداولية، مجلة الموقف الأدبي، **اتحاد كتّاب العرب**، العدد 399، دمشق، تموز2004، من موقع www.awu- dam.org.

3- Voir : D.Mainguneau : **Les termes clés de l'analyse du discours**. Seuil. France 1996 , P22.

"السياق" حيث مازالت تعارفه تتقاذفها مختلف مناهج تحليل النّص كل يخضعه للآليات والمباديء التي يعتمدها انطلاقا من اللّسانيات وتحليل الخطاب وصولا إلى السيميائيات والتّداولية.

2- مفهوم السياق من المنظورين الغربي والعربي:

أ- من المنظور الغربي:

ينطلق "فان دايك"- أحد أعلام لسانيات الخطاب-في كتابه الموسوم"النّص والسّياق" (1977)* من هدفه المتمثّل في إنشاء مقاربة أكثر وضوحا وتنظيما للدراسة اللسانية للخطاب، حيث نجده يقسّم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول دلاليّ والثاني تداوليّ، وتندرج مظاهر كلّ قسم في خطاطة وهي كالتالي: (1)

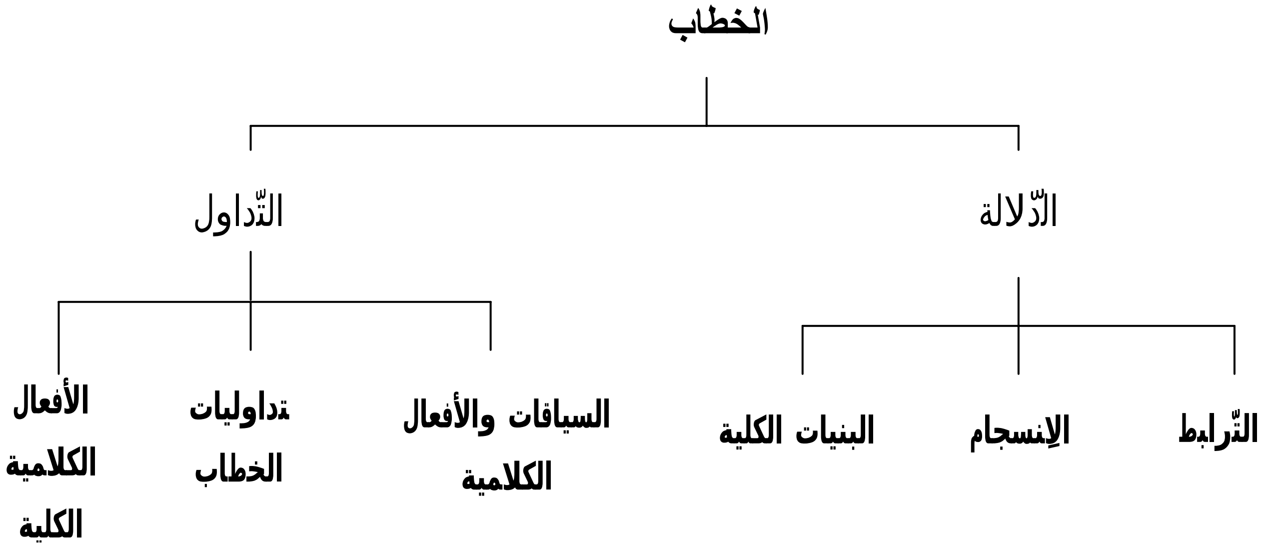

ويذهب "فان دايك"إلى **« أن النظرية اللّسانية تهتم بأنساق اللّغة الطّبيعية، أي تراكيبها المتحقّقة أو الممكنة التّحقق، وبتطورها التّاريخي ومختلف أنشطتها الثّقافية**

* في هذا الكتاب نجد "فان دايك" قد طور أطروحاته وأرائه الموجودة في كتاب سابق له سمي ب some Aspects of text grammars » (1972).

1 - محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 1991، ص27.

ووظيفتها المجتمعية وأسسها المعرفية.» [1]، وهذه الأنساق التي تحدّث عنها "دايك" هي عبارة عن قواعد متواضع عليها، تحدّد السّلوك اللّغوي، كما يتجلّى في استعمال أقوال لغويّة في مقامات تواصليّة معيّنة. إلى جانب المستوى النّحوي الذي ذكره "دايك"،أضاف مستوى آخر سمّاه بمستوى فعل الكلام و **« ذلك أن كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألاّ توصف فقط من جهة تركيبها الداخلي والمعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التّام الإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة »**[2]. ويعني "فان دايك" بهذا المستوى، المستوى التّداولي الذي يهيئ شروطا حاسمة تجعل الأقوال مقبولة تداوليا، وهذا معناه أن يصير تركيبها مناسبا لمقتضى الحال بالنّظر إلى السياق التّواصليّ.

وإذا كانت المهمّة الأولى للتّداولية هي تحويل الموضوعات إلى أفعال منجزة، فإنّ المهمّة الثانية لها، هي تنزيل هذه الأفعال في موقف معيّن، ويستعمل "فان دايك" مصطلح "السياق" الذي يتحكّم في مدى نجاح أيّ عبارة في أي موقف، ويعرفه على أنّه: **« عبارة عن تجريد عالي الصورة المثالية مأخوذ من موقف ما، وهو يحتوي فقط على أحداث تعين على نحو مطرد مناسبة العبارات المتواطأ عليها، وجزء من مثل هذه السياقات قد يكون على سبيل المثال أفعال كلام المشاركين وتكوينهم الداخلي (معرفتهم، وإعتقاداتهم، وأغراضهم، ومقاصدهم)، كما قد تكون الأفعال المنجزة ذاتها وبنياتها والصفة الزمانية والمكانية للسياق حق يمكن وضعها في محل من عالم ممكن متحقّق»**[3].

وبعد هذا فإنّنا نجد "فان دايك" يضع بنية عامّة يتألّف من خلالها السياق، بحيث يقرّ على أنّ أيّ موقف تواصلي يجب أن يحتوي على الأقل شخصان **« أحدهما فاعل حقيقي والآخر فاعل على جهة الإمكان أي المتكلّم أو المخاطب على التّوالي»**[4] وكلا هذين الشّخصين ينتميان إلى جماعة لسانيّة لها نفس اللّغة ونفس ترابط ضروب الاتفاق والتّواطؤ

1- فان دايك: **النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)**، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب 2000، ص17 .

2 - المرجع نفسه، ص18 .

3 - فان دايك ،النص و السياق ص257 .

4- المرجع نفسه، ص258.

للقيام بالفعل المشترك الإنجاز، ولهذا فإنّ "دايك" يشترط وجود قطبين مشاركين في الحديث في سياق محدّد بعينه، وعلى هذا الأساس فإنّ السياق لديه هو كلّ متكامل، بالنسبة لتحليل النّصوص حيث يقوم بدراستها من خلال بنيتها الدّاخلية وبنيتها الخارجيّة ومن حيث العمليّة التّواصلية التي تتمّ فيها من خلال عنصري الباث والمتلقي.

هذا من جهة، من جهة أخرى نجد مصطلح "السياق" من منظور اللّسانيات الوصفيّة، وبالتّحديد من خلال الشخصيتين "هاليداي ورقية حسن" في كتابهما الاتساق في اللّغة الانجليزية (1976)، فإنّهما يذكران مصطلح السياق من خلال استعمالهما لمصطلح "الإحالة" استعمالا خاصا، بحيث يعتبران العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل ، بل لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتنقسم الإحالة في رأيهما إلى نوعين: الإحالة المقاميّة والإحالة النّصية، وتتفرّع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية ، وقد صاغا هذا التقسيم في الرسم الموالي:

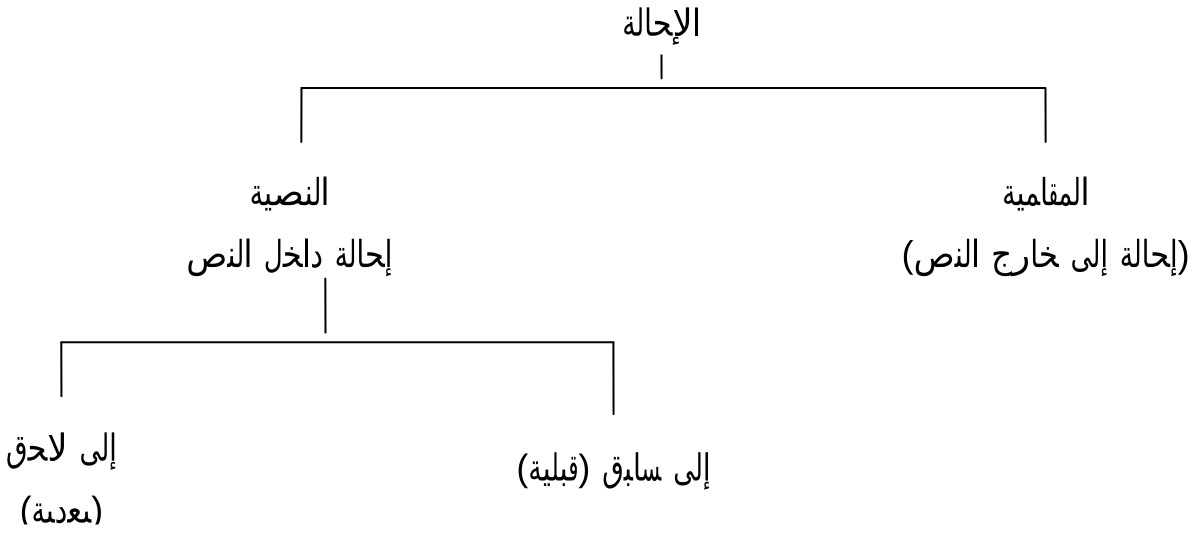

ومنه فإنّ الإحالة يمكن أن تكون مقامية أو نصّية، وبالتالي يستنتج وجود نوعين من السّياقات التي تمكننا من فهم النصوص بمختلف أنواعها، ألا وهي السياق النّصي الداخلي بفرعيه البعدي والقبلي، والسياق المقامي وما يسمى بالسّياق الخارجي[1].

وفي مقابل كل هذا نجد مفهوم السياق من منظور تحليل الخطاب، من خلال كتاب تحليل الخطاب discourse analysis لمؤلفيه "براون ويول"، يتحدّد انطلاقا من "جعلهما لقطبي التّواصل المتكلّم /الكاتب والمستمع القارئ في قلب عملية التّواصل، إذ لا يتصوّران قيام عملية تواصل بدون الأطراف المساهمة فيها، بل لن يتسنّى فهم وتأويل التّعابير والأقوال (الخطاب بصفة عامة)إلاّ بوضعها في سياقها التّواصلي زمانا ومكانا ومشاركين ومقاما هذا لاعتقادهما الراسخ بأنّ المتكلمين/الكتاب هم الذين يملكون المواضيع والافتراضات المسبقة والمستمعون . القرّاء هم الذين يؤولون ويقومون بالاستدلالات وبمعنى أعمّ أنّ النّاس هم الذين يتواصلون لتحقيق مآرب وأغراض متعددة"[2].

وبناء على ما سبق ذكره فإنّ "براون ويول" يقران على أنّه ينبغي لمحلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، والسياق الذي يظهر فيه الخطاب والسياقُ لديهما يتكوّن من المتكلم /الكاتب/المستمع/القارئ/الزمان /المكان.لأنّه يؤدي دورا فعّالا في تأويل الخطاب وغالبا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين، في هذا الصّدد يرى "هايمز"(1964) أن للسّياق دورا مزدوجا إذ **« يحصر مجال التّأويلات الممكنة ويدعم لتأويل المقصود»**[3]

وما يمكن استنتاجه ممّا مرّ علينا، هو أنّ جلّ الدّراسات الغربيّة، استطاعت أن تحاصر مفهوم السياق من كل الجوانب المحيطة به، حتىّ أنّ مثل هذه الدراسات تقرّ على أنّ الخطاب القابل للفهم والتّأويل هو الخطاب القابل بأن يوضع في سياقه، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية من حيث لغته، ولكنّه قد يتضمّن قرائن تجعله

1 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 17.

2 - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص52.

غامضا غير مفهوم بدون إحاطة بسياقه ومن ثمّ فإن للسياق دورا فعالا في تواصليّة الخطاب وفي تحقيق انسجامه بالأساس وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه.

ب-من المنظور العربي:

إذا حظي مفهوم السياق بمكانة هامّة في بحوث ودراسات علماء اللّغة الغربيين، فإنّنا نجد نفس الاهتمام بهذا المفهوم بالنسبة لعلماء اللّغة العربيّة خاصة منهم الأقدمون، سواء كانوا باحثين في خصائص اللّغة العربية "كالجرجاني" و"ابن جني" و" الجاحظ" وغيرهم أو علماء أصول الفقه في مباحثهم المشتقات من علم الأصول الذي يحصره في الأقسام الأربعة التّالية: الأحكام الشّرعية –الأدلّة الشّرعية-طرق الاستدلال (القواعد الأصوليّة اللّغوية)- أحكام الاجتهاد، وكان هدفهم الأساسي في ذلك هو ضمان الفهم الصّحيح والبين لمحتوى القرآن الكريم واستنباط الأحكام الشّرعية الصّحيحة منه،ونذكر من بين أشهرهم "الإمام الغزالي"، و"الشّافعي" و"الآمدي" من خلال كتابه "الأحكام في أصول الأحكام" وغيرهم.

كثيرا ما تعلّقت دراسات العرب فيما يخص السّياق، بالبحث عن دلالة "القرآن" بحيث نجدهم قد خاضوا كثيرا في كيفية تقسيمهم للدّلالة، فقد قسّم المناطقة مثلا الدّلالة إلى نوعين، دلالة لفظيّة ودلالة غير لفظيّة، وقسّموا الدّلالة اللّفظية إلى وضعيّة وغير وضعيّة، ثم أنّ الدّلالة الوضعيّة تنقسم بدورها إلى دلالة المطابقة والتّضمن والالتزام، وبدورها الدّلالة غير الوضعيّة،تنقسم إلى دلالة طبيعيّة وعقليّة، كما يوضحه المخطّط التالي الذي صاغه محمد يونس علي في كتابه وصف اللّغة العربية دلاليّا.[1]

1 - ينظر محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا (في ضوء مفهوم الدلالة المركزي"دراسة حول المعنى وظلال المعنى")، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا 1993، ص72.

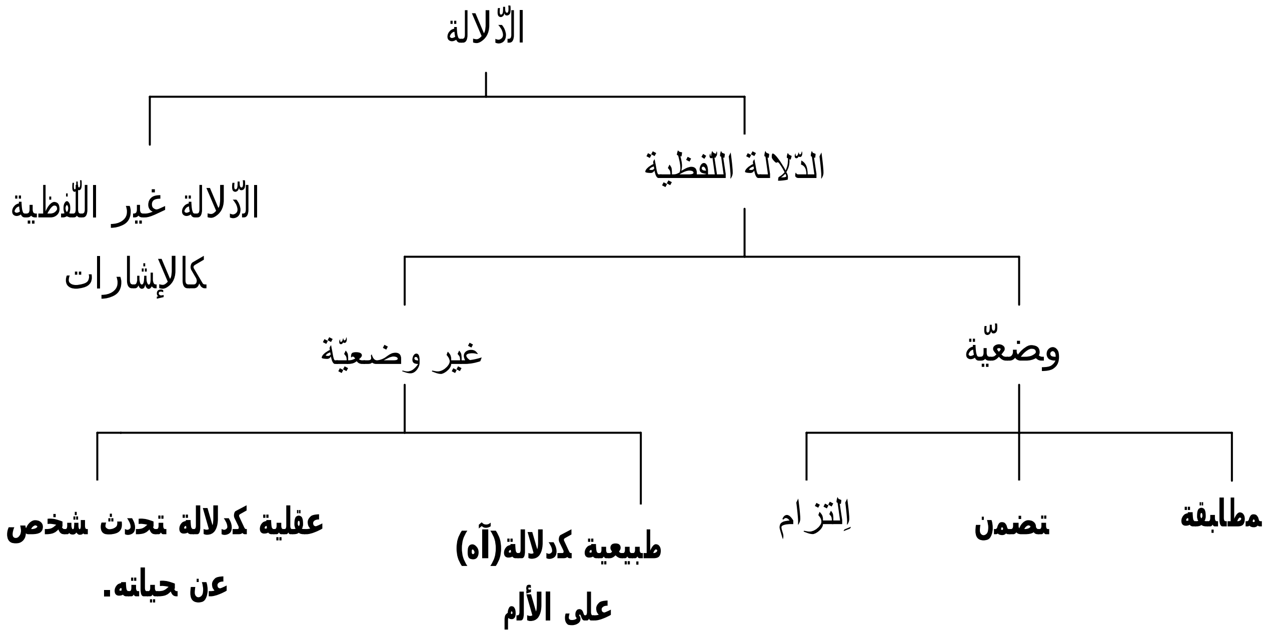

كما نجد أيضا تقسيما آخر عند علماء الحنفيّة، ينضبط بما يمكن تسميته "مبدأ القصدية" ومقتضاه، أنّه لا كلام إلاّ مع وجود القصد وصيغته هي **«الأصل في الكلام القصد»** [1]، ولفظ القصد لا تعني إلا استلزامات القول للصيغة السياقية والمقاميّة، وبهذا فإنّ أتباع الحنفيّة يقسمون أنواع الدّلالات إلى: دلالة العبارة- دلالة الاقتضاء- دلالة الدّلالة- دلالة الإشارة.

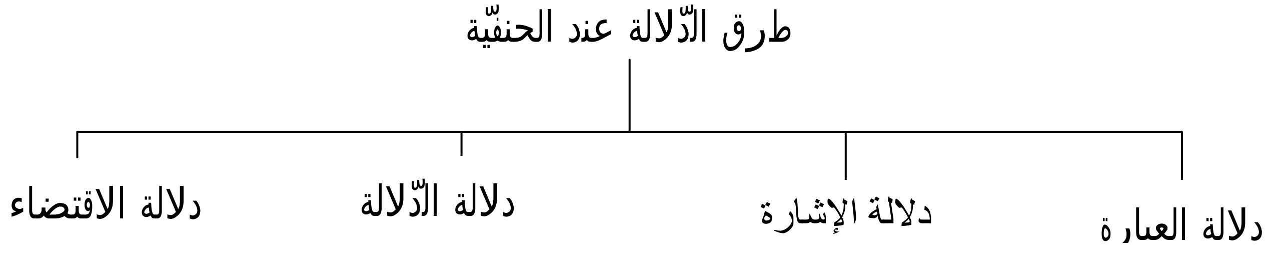

أمّا "الآمدي" فقد قسّم الدّلالات التي يحملها سياق الخطاب وتضطلع بإبرازها عناصر لغويّة، إلى ثلاث دلالات،دلالة التّنبيه والإيماء- دلالة المفهوم- دلالة الإشارة، بحيث لا يتمّ فهم أي دلالة من هذه الدّلالات إلاّ بتدخّل السياق،ففي تعريف "الآمدي" مثلا لدلالة المخالفة

1- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1998، ص103

بقوله: **«وأما مفهوم المخالفة فهو ما يكون مدلول اللّفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النّطق و يسمى دليل الخطاب أيضا»**[1] وهي عمليّة من خلالها نقوم باستخراج دلالة غائبة من دلالة حاضرة، فإذا قلنا مثلا:" اليوم قمت باكرا" دلّ السّياق أنّك بالأمس لم تقم باكرا، و هذا هو مفهوم المخالفة، وما نلاحظه هنا هو قرب هذا المفهوم إلى أهم المفاهيم التي تقوم عليها التّداولية اليوم، ألا وهو الافتراضات المسبقة présupposition.

وأمّا حديث "الجاحظ" عن المعنى، قد وضح فيه مقام المعاني بالنسبة للألفاظ ومقامها في ذهن المتكلّم، إذ هي أقدار وأحوال وليست على درجة واحدة من الاستعمال، فما يصلح لهذا المقام والحال قد لا يصلح لمقام وحال آخرين، وعليه فإنّ الجاحظ يقرّ بالدّلالة المقاميّة، ومراعاة المخاطب لأحوال المستمعين، فيقول: **« ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.»**[2]

وهكذا فإنّ المعاني ترتّب وتصنّف بحسب أصناف النّاس في المجتمع وتباين مقامتهم وأحوالهم.

وفي جانب آخر، فإنّ الإمام "عبد القاهر الجرجاني" يشرح لنا النّظريّة السياقّية بكل جوانبها، خاصّة في كتابه "دلائل الإعجاز" ولعدم كفاية المقام هنا، وهذا لتشعّب نظريّة النّظم واتساعها وتداخل المفاهيم التي ذكرها الجرجاني فيها- نكتفي فقط بالقول أنّ السياق الكلاميّ عند "الجرجاني" يتميّز بمستويات، كمستوى البنية الإبلاغيّة المتغيّرة حسب المقام، ومستوى البنية النّحويّة، فناقل الخبر يقوم قبلا بترتيب المعاني في نفسه، قبل أن يصرفه إلى المتلقي، كما أنّه يأخذ بعين الاعتبار مقام وحال ذلك المتلقي وما يجب اعتباره أثناء عمليّة الإبلاغ يراه

1 - سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي: **الأحكام في أصول الأحكام**، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص69.

2 -الجاحظ: **البيان والتبيين**، تقديم : علي أبو ملحم، ط2، ج1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1992، ص81.

الجرجاني في النّظر إلى حال المتكلم فيقول في ذلك: «**فإن الإعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع** »[1]

وما يمكننا قوله بعد كل هذا، هو أنّ المفسرين للقرآن الكريم، قد فطنوا إلى أنّ المعنى الدّلالي في فهم ظاهر وباطن القرآن، يعتمد على المعنى المقالي والمعنى المقامي معا، حيث أنّ!هم كانوا لا يكتفون بمنطق الآيات والأحاديث الشّريفة، بل يتوغّلون في معرفة أسباب النّزول وظروفه الاجتماعية والتّاريخية أي أنّهم يتخطون بذلك المعنى الحرفي إلى المعنى الاجتماعي.

"المعنى الدلالي"

المعنى المقالي وهو مكوّن من المعنى الوظيفي+ المعنى المعجمي وهو يشمل القرائن المقالية كلما وجدت	المعنى المقامي وهو مكوّن من ظروف أداء المقال وهي التي تشتمل على القرائن الحاليّة[2] ويسمى ذلك (مقاما)

وانطلاقا ممّا سبق، فإنّ السياق بشكل عام، والسّياق التّداولي بشكل خاص، هو هذا الكلّ الذي يحيط بظروف إنتاج الخطاب والأطراف التي ساهمت في هذا الإنتاج، من مرسل ومرسل إليه وما بينهما من العلاقات التّخاطبية، وعنصري الزمان والمكان، وما يحيط بطرفي الخطاب من عوامل اجتماعية، سياسية، ثقافية...الخ، وأنواع الأغراض والمقاصد التي ترمي إليها مختلف الخطابات بأهدافها المسطّرة سالفا، ونحن في مدوّنتنا "كليلة ودمنة" سوف نحاول أن نبرز جلّ هذه النّقاط التي تكون السياق، بتتبّعه كعنصر يساعدنا على الوصول إلى أغراض ومقاصد "ابن المقفّع" الذي عاش في فترة زمنية لا تخلو من وجود أوضاع سياسيّة واجتماعية خاصّة، تدفع المرء إلى الإجادة والاعتماد على

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التنجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 2005، ص268.

2 - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط4، عالم الكتب، القاهرة 2004، ص 339.

مختلف الاستراتيجيات، للتّعبير عن مثل هذه الأوضاع، والكشف عن مختلف الوسائل والطّرق الممكنة استعمالها لمحاربتها، دون المساس بأصحاب السّلطة كطرف حسّاس، عبّر عنه بشكل يكاد يكون واضحا في قصص "كليلة ودمنة".

الفصل الأوّل

عتبات السِّياق

1 – تمهيد

2 - عنوان كليلة و دمنة الدّلالة والرمز

3 - أقطاب العمليّة التّواصليّة

تمهيد:

يعتبر السياق من بين أهمّ العناصر التي تعنى بتحليله مختلف الدراسات التّداولية، التي تركز كثيرا على البحث في نوعيّة العلاقات القائمة بين العلامات ومستعمليها واستعمالها وآثارها وتطلق التّداولية بذلك على التّخصص الذي يعنى بدراسة ما هو موجود على مستوى المكون التّداوليّ، أي معالجة معنى الملفوظات في سياقها.(1) وتأتي أهمّية التّداوليّة في أنّ معظم النّظريات التي تندرج ضمنها تسعى كلّها إلى البحث عن العلاقة التّواصليّة التي تتحكّم بين المتكلم والمتلقي وبينهما، والسياق الكلاميّ الذي تتمّ فيه عمليّة التّواصل، خاصة إذا ما عرفنا أنّ السياق هو هذا الكلّ المتداخل من العوامل النّفسية، الثّقافية، الاجتماعيّة، التّاريخية، السّياسية، الدينية وغيرها من العناصر التي تحيط بقطبي العملية التّواصليّة.

لهذا نجد التّداولية كمنهج يهتمّ بمختلف الأسئلة الهامّة في أي نص أدبي خاصّة من جانبه السياقيّ والتي تتمثّل في:

- من هو المتكلّم ومع من في النص؟
- من هو المتلقي في النص؟
- ما هو زمان النص؟
- ما هو مكان النص؟
- ما هو موضوع النص؟
- ما هو مصدر التّشويش والإيضاح، وكيف نتحدّث بشيء ونفهم شيئا في حين نريد قول شيء آخر؟
- ما هي القوى الحجاجيّة التي يعتمد عليها المتحدّث من أجل إقناع متلقيه؟

إنّ هذه الأسئلة وغيرها التي تسعى التّداولية للإجابة عنها، جعلت "أوركيوني" تقرّ أنّ الوظيفة الأساسيّة التّداولية تكمن في : **« اِستخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذّر**

---

1 - Voir: D.maingueneau, **Les termes clés de L'analyse du discours**, p 65.

في إطاره الذي يشكل الثّلاثية الآتية: المرسل، المتلقي، والوضعية التّبليغية، إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التّحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة» [1]

وانطلاقا ممّا سبق فإنّ التّداولية وبسعيها الحثيث إلى الإجابة عن الأسئلة السابقة وغيرها ، تشترط علينا بشكل أو بآخر استحضار مقاصدنا وأفعال لغتنا وتركز أكثر على استحضار سياق تبادلاتنا التّواصليّة المختلفة، كما تستدعينا إلى الوقوف كثيرا على البعد التّداوليّ لهدف اللّغة التي يستعملها المتخاطبون.

لهذا يعتبر تصوّر التّداولية الكلام فعلا غير قابل للانفصال عن نظام اللّغة، على أن يكون الفعل المنجز هو الذي يفترض وجود هذا النظام، إذ إنّه وبمجرد نطق المتكلم بصيغة الأمر يكون قد جعل نفسه في مرتبة الآمر، ووضع غيره في مرتبة المأمور، ولتحقيق ذلك يجب توفّر مجموعة من الشّروط المحدّدة التي لا يعني توفّرها أنّ الفعل قد تمّ إنجازه، ولكن إنجاز الفعل هو الذي يفترض اجتماع تلك الشّروط.[2]

وبذلك فإنّنا نجد التّداولية كمنهج له استراتيجيات خاصّة به، يعتمد على مفاهيم أساسية كمفهوم الفعل ومفهوم السياق، ومفهوم الإنجاز وهي بمثابة مقاييس ومؤشرات [3] يعتمد عليها الباحث ليحيط بمكونات النّص بمختلف أبعادها.

فمفهوم الفعل [4] يعني أنّ اللّغة لا تخدم فقط تمثيل العالم ، بل تخدم أيضا إنجاز الفعل، فالكلام معناه أن نفعل، وندشن معنى ما ، وهو بشكل عام القيام بـ "فعل الكلام" يفهم بربطه بسياقاته الاجتماعية.

أمّا مفهوم **السياق**[5] فهو الوضعيّة الملموسة، والتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخص المكان ، الزمان وهويّة المتكلّمين ...الخ، فكلّ ما نحن في حاجة إليه من

---

1 - C.K, Oreceheiceni : **Enonciation de la subjectivité dans la langage**, Armand Collin, Paris, 1980, p 185.

2- Voir : D Maingueneau, **nouvelles tendances en analyse de discours**, Edition Hachette, Paris 1987, p 19

3- ينظر : فرانسواز أرمينكو : **المقاربة التداولية** : سعيد علوش، مركز الانهاء القومي، ص 5

4- ينظر: المرجع نفسه، ص9.

5- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أجل فهم دلالة ما يقال، ومن خلال هذا تظهر أهمّية السياق ، الذي يؤدي عدم حضوره في عملّية نقل المقاصد، إلى عدم وضوحها وظهور إبهامات كثيرة فيها.

ومفهوم **الإنجاز**، معناه **« إنجاز الفعل في السياق، إما بمحايثة لقدرات المتكلمين (أي معرفتهم وإلمامهم بالقواعد)، وإما بتوجب إدماج التّمرس اللساني بمفهوم أكثر تفهما كالقدرة التّواصلية»**(1) ويرتبط هذا المفهوم أكثر بالأفعال الكلاميّة، حيث يعتبر هدفها الأول هو إحداث وتحقيق وضع جديد بأفكار جديدة عوض أن يكون هدفها هو الوصف والملاحظة للأشياء فقط.

لقد حصر "مانقونو" " D.Maingueneau" التداولية في ثلاثة أنماط مهمّة ، أولى هذه الأنماط هو **النّمط القانوني**"l'ordre juridique"، الذي يقرّ على أنّ أفعال الكلام تستخدم تعاقدات contrats تضبط بشكل نظاميّ العلاقة بين القواعد مسندة بذلك لكل فاعل وضع خاص في النّشاط الكلامي"Activité langagière" ومفهوم التّعاقد هنا يحيل إلى أنّ أفراد المجتمع الواحد متفقون على الصيغ الكلاميّة لممارستهم الاجتماعية، حيث أنّ الفاعل لا يقوم بعملية التّلفظ إلاّ في حالة وجود طقوس سوسيو- لغوية ضمنّية مشتركة بين المتخاطبين "Interlocuteurs" وقد ساق لنا "مانقونو" مثالا عن هذا يدور حول التّعاقد الموجود بين "المعلّم والتلميذ"، حيث أن **« كلّ تلفظ يقوم به المعلم في النّظام المدرسي مأخوذ في تعاقد يمنحه مرتبة الحائز على العلم ، فهذا التّعاقد الذي يربطه بالتّلميذ لا يسمح له بأن يكون غير ذلك، ولهذا يجعله شرعيا سلفا»**(2) لهذا نجد هذه التّعاقدات تجعل مسار النّشاط الكلاميّ يسير بشكل عادٍ. وإلاّ كيف نفسر مثلا احترام الطّلبة الذين يكونون أكبر سنّا من أساتذتهم، بحكم أنّ عملّية الاحترام تتمّ من الصّغير إلى الكبير لولا مثل هذه التّعاقدات الاجتماعية.

أما النّمط الثاني فهو **المسرح** "théâtre"، حيث يرى "مانقونو" أنّه من السهل الانتقال من النسق القانوني إلى الدّور"Rôle" ذلك لأنّ **:« اللّغة تحمل بشكل يتعذّر تبسيطه**

1- ينظر: فرانسواز أزميكو، المقاربة التداولية، ص9.

2 - D .Maingueneau ,Nouvelle tendance en analyse du discours ,page 20

قائمة بأكملها من العلاقات بين البشر ومجموعة كاملة من الأدوار التي يمكن للمخاطب أن يختار منها لنفسه ثم يفرضها على المتلقي.»[1]

وبهذا فإنّ "مانقونو" يعتبر الحياة الاجتماعية عبارة عن مسرح تتوفّر فيه كل الشّروط كالمكان والزّمان والأدوار التي توزع على المخاطبين، معيدا بذلك بطريقة أو بأخرى الاستعارة الرواقية"Métaphore Stoïcienne" التي تعتبر المجتمع مسرحا واسعا يختار فيه كلّ فرد دوره، وقد تمكن من توسيع هذا الرأي بإدماج الأدوار في مركب المشهديّة"Scénographie" المتماشية مع أفعال الكلام من خلال مقابلة مصداقيتها بالتلفّظات.[2]

والنّمط الثالث الذي حصر فيه "مانقونو" التّداولية هو"اللعبة le jeu " وذلك لما وجده من تشابه كبير بين اللغة والمسرح والتّعاقدات الاجتماعية، متبنيا بذلك رأي "جون سرل" "John searl" الذي يعتبر قواعد اللعبة مماثلة لقواعد أفعال الكلام في صفة تعاقديّة حيث أنّه **«عندما نتكلّم فإنّنا نتبنّى نوعا من التّصرف القصدي، تحكمه قواعد تفطّنت للإنتظامات المقدمة في مباراة كرة القدم»**[3].

لقد لاحظنا فيما سبق أنّ التّداولية تولي أهمية كبيرة لعنصر السياق، حتى أنّه أضحى من بين أهم المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها في مختلف تحليلاتها للنّصوص، حتى أنّها عادة ما تسعى إلى ضبط العملية التّلفظية من حيث هي فعل تواصلي يتحقّق في موقف سياقي و في فضاء ثقافي اجتماعي، هذه التي تشكّل محيط النصّ بشكله الواسع، لهذا نجد أنّ السياق يعتبر أداة إجرائية فاعلة و أساسيّة في التّحليل، حتى أضحت الخطابات الأكثر قبولا للفهم والتّأويل، هي مجموع الخطابات القابلة بأن توضع في سياقاتها العامّة.

وبحكم إقرارنا بمصطلح "السياق" كأداة إجرائية ناجعة، بكل المستويات الدّلالية والتّداولية في تحليل النّصوص، والوصول إلى محاصرة معناها من كل جانب، بحيث يمكّن بذلك المتلقي من فك مختلف الرّموز الموجودة في هذه النّصوص، ارتأينا في هذا

---

1 - D .Maingueneau ,Nouvelle tendance en analyse du discours ,page 20.
2- Ibid, page 20
3 - Op.cit, p.20

الفصل أن نستخرج من نص "كليلة ودمنة"، نوعا من المؤشرات السياقية الكفيلة بفك الشيفرة التي بنى عليها"ابن المقفّع" نصه هذا، خاصة أنّه نص غنيّ بأنواع القواعد التي تبني عليها التّداولية أساسها.

لهذا سنحاول أن نقف على العتبات الأولى لتحليلنا، الذي يعتمد على محاولة الإمساك بالإطراف التي تكون النّص اعتمادا على مصطلح السّياق في بعده التّداوليّ، ومنه سنحاول الوقوف على أهمّ العناصر التي ينبني عليها، بطرح الأسئلة التالية:

-من هو المتكلّم في كتاب " كليلة ودمنة"؟
-من هو المتلقّي الذي يستهدفه "ابن المقفّع" من خلال الكتاب؟
-ما هو الإطار الزّماني والمكاني للنّص ؟
-ما هي الخلفيّة الإيديولوجيّة والثّقافية التي تتحكّم في هذا الكتاب؟

وكلّ هذه الأسئلة تعتبر بمثابة إحالات مرجعيّة، تمكّن القارئ من تأويل النص، وفهم مختلف مقاصده، بحيث تكون العمليّة التواصليّة بذلك محدّدة المعالم، وواضحة الأقطاب من مرسل ومتلقٍ وزمان ومكان التّلقي، كما توضّح أيضا عملية التفاعل التي ستكون بين النّص ومتلقيه، فنجد "محمد خطابي" مثلا يقرّ بنجاعة توفّر كل هذه الأقطاب كعناصر أساسية في السياق بقوله **«إنّه كلما توفّر المتلقّي على معلومات عن هذه المكونات (المتكلم، المتلقي للرسالة، الزمان والمكان ونوع الرسالة) تكون له حظوظ قوية لفهم الرسالة، وتأويلها، أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لديها معنى»** [(1)].

ويمكننا التّمثيل للتّفاعل الموجود بين هذه العناصر التي تكوّن السياق بالشّكل التّالي:

1- محمد خطابي: **لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)**، ص297.

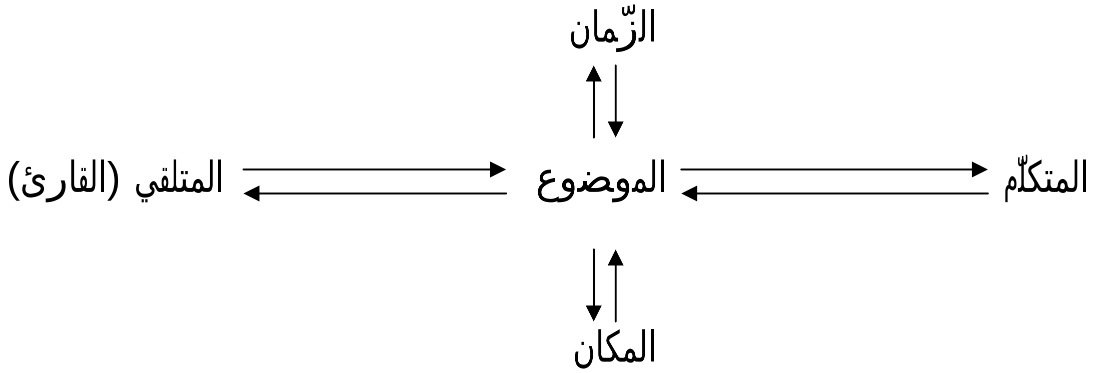

وقبل أن نبدأ في تحليل هذه العناصر وكيفية تمظهرها في نص "كليلة ودمنة"، أثرنا قبلا أن نقف على إشكالية العنوان، بما أنّه يعتبر من بين المؤشرات التي تحيط بالنص، كما يعتبر الباب الأساسي الذي نلجّ منه لاقتحام عوالم النّص، كما يعتبر أيضا من بين أهم العتبات السياقية التي ستسمح لنا بقراءة نصوص "كليلة ودمنة" قراءة جيدة.

1- عنوان "كليلة ودمنة"/ الدلالة والرمز:

يعتبر العنوان بمثابة البوّابة الرّئيسية لاقتحام مكونات النّصوص بمختلف أنماطها، حيث يشكّل المفتاح الرّئيسي للدّارس الذي يسعى إلى استكناه واكتشاف وتفسير عوالم النّصوص الأدبيّة، وبهذا فإنّ أهمية العنوان تنبثق من كونه مكوّنا نصيا لا يقلّ أهمية عن المكونات النّصية الأخرى، حيث يمتلك سلطة معينة في النّصوص ويشكل واجهتها الخارجية، لهذا وفي الغالب لا نجد أي غنى لأيّ نص عن عنوان يميّزه ويؤطره، حيث يصبح كالدّال (العنوان) على مدلوله (النص)، حقيقيّا كان أم تخييلا إذ « **أن الإيحاء الدلالي الذي ينطوي عليه العنوان يعبر عن معنى تأطيري يشير من بعيد –أو من قريب- إلى الكون التّخيلي للقصة.**» [1]

كما يعتبر العنوان أيضا بمثابة الدّافع الأول لعملية القراءة، «**وهو الشّرك الذي ينصب لِاقتناص المتلقي**»[2] ومن ثم فإنّه يحظى بأهمية باعتباره الانطلاقة الأولى في

1- سلمان كاصد : **عالم النص(دراسة بنيوية في الأساليب السردية)**، دار الكندي، الأردن 2003، ص15.

2- حافيظ اسماعيلي علوي: **اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالات التلقي (اللسانيات التمهيدية نموذجا)**، دمشق 2006، من موقع http://membres.lycos.Fr/abedjabri/M58-09hafidi.htm.

التّعامل مع النّص في بعده الدّلالي والرّمزي، إذ إنّه لا يمكن لأي متلق أن يلجّ عوالم النّص، واستكشاف بنياته التّركيبية والدّلالية، والوقوف على مقاصدها التّداولية، دون الانطلاق من المفتاح الأول لهذا الولوج ألا وهو "العنوان"، لهذا شبّهه "جاك دريدا" **«بالثّريا التي تحتلّ بعدا مكانيا مرتفعا يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النّص»**(1)

وإذا كان العنوان بكلّ هذه الأهمّية، التي تعتبره ضرورة لا مفرّ منها، تساعد المتلقي على فهم النّصوص، فهذا ما جعله موضوع دراسات مختلفة، ابتداء من النّقاد العرب القدامى، الذين أدركوا مسبقا أنّ العنوان لازمة نصيّة، فساروا يبحثون في وظائفه ودلالته، وعلاقته التّكاملية التّرابطية مع النّصوص، "كأبي القاسم الكلامي" مثلا الذي ضمّن فصلا خاصا "بالعنوان" في كتابه "إحكام صنعة الكلام" (2) حيث بحث في مختلف المعاني اللّغوية للفظ عنوان ، وفي أهميته وقيمته الأدبيّة والفنية في إقامة النّص، ومن هنا يتّضح لنا إدراك العرب لأهمية العنوان، الذي يعتبر قيمة لفظية دالة تؤدي وظيفة إشارية تميز النّصوص بعضها عن بعض، حتى أنّ بعض المعاجم العربيّة تشير إلى أنّ كلمة "عنوان" تعني التعيين كالإسم للشّيء، "فابن منظور" مثلا في "لسان العرب" يعرفه في مادة "عنّن" أنّه **«عن الكتاب يعنّه عنّا، وعننه ، كعنونه وعنونته وعلونته بمعنى واحد، مشتق من المعنى وقال اللّحياني : عننت الكتاب تعنينا وعنيته تعنية إذا عنونته أبدلوا من إحدى النونات باء، وسمي عنوانا لأنّه يعن الكتاب من ناحيته، وأصله عنان ، فلما كثرت النونات قلبت إحداهما واوا، ومن قال علوان الكتاب جعل النون لاما لأنّه أخف وأظهر من النون »**(3) .

فمعنى كلمة "عنوان" عند "ابن منظور" تسمية الكتاب، باسم يميزه عن باقي الكتب الأخرى أي إعطاء سيمة علامية تجعله مميّزا.

1- سلمان كاصد، عالم النص، ص 15.

2- ينظر: نجاة عرب الشعبة: **خصائص البناء النصي في كليلة ودمنة**، مجلة الموقف الأدبي(اتحاد كتاب العرب)، العدد 396، نيسان 2004، من موقع : www.awu-dam.org

3- ابن منظور، **لسان العرب**، ص 294.

أمّا بالنسبة للنّقاد والمنظرين الغربيين ، فإنّ غايتهم بالعنوان تندرج ضمن دراساتهم حول النّص الأدبي ، بشكل عام والنص السّردي بشكل خاص، وقد جاء ذلك في أبحاث الشّكلانيين الروس، وما تبعهم من مدارس نقديّة كالبنيويّة مثلا، ومثل هذه المدارس النقدية تعتبر العنوان **« جزءا لا يتجزأ من الكلية النّصية، له وظائف بنيوية بالنّسبة لهيكل النّص الخارجي، وأخرى دلالية في علاقته بالمادة الحكاية أو الشعرية»** (1).

و قد جعل "جيرار جنيت Gérard Genette"، العنوان جزءا من المناص Para textualité، والذي يعتبر نوعا من أنواع التّعالقات النّصية، ويطلق عليه أيضا إسم النص المصاحب للمتن Para texte، وهو **«علاقة النّص مع ما يحيط به كالعنوان أو العنوان الفرعي أو العناوين الداخلية، المقدمات، الملحقات، التّنبيهات، المداخل والتوطئات وغيرها من أنماط العلاقات المرافقة للإمضاء الذاتي والتي توفر للنص محيطا [...]»**(2).

أما العنوان في الدراسات السيميائية، فإنّه يعدّ بمثابة علامة أو مؤشّر يحمل في طياته دلالات معينة تساعد القارئ على فكّ رموز النّص وتأويل مضمونه، وقد جاءت نظرة السيميائيات هذه للعنوان، انطلاقا من تعريفهم للنص الأدبي على أنّه علامة دالّة.

إنّ لعنوان مدونتنا "كليلة ودمنة" معنى دلاليّا،له علاقة سواء من قريب أو من بعيد بالمتن، خاصة إذا ما لاحظنا أنّ ظاهرة العنوان بارزة في البنية العامة لـ "كليلة ودمنة"، فالملاحظ أنّ النص العام يتصدّره عنوان رئيس هو "**كليلة ودمنة**".

ثم يندرج ضمن هذا العنوان، عناوين فرعية تتصدّر كل باب من أبواب الكتاب،وضمن كلّ هذه الأبواب تندرج بدورها عناوين أمثال خاصّة بها، ومن هذا المنطلق تستوقفنا إشكاليّة علاقة العنوان بالنّص ككل، وعلاقته بالنّصوص الفرعية الداخلية، كما يستوقفنا كذلك موضوع العناوين الفرعية، وهذا كلّه انطلاقا من وصف عنوان "كليلة ودمنة" أنّه جزء من النص وعلامة تدلّ عليه.

---

1 - نجاة عرب الشعبية، **خصائص البناء النصي في كليلة ودمنة.**

2 - G.Genette : **Palimpsestes la littérature aux seconds degrés**, Edition de seuil, Paris, 1982, P07

لاشك أنّ من بين أهم الوظائف التي يقوم بها العنوان، أنّه يهيئ الأرضية للملتقى، لكيفية قراءته للنّص، وكيفية الوصول إلى ما يريد الكاتب أن يوصله إليه، لهذا نجد العنوان يحتلّ مكانة هامة في الفضاء النّصي، ومن أجل هذا وذاك اختار "ابن المقفّع" "كليلة ودمنة" عنوانا لكتابه هذا الذي يتضمّن قصصا خرافية متنوّعة تُحكى على لسان الحيوان، والأمر الذي يمكننا الإقرارية، هو أنّ "ابن المقفّع" لم يختر هذا العنوان هكذا عبثا، بل من انطلاقات ذاتية مقنعة على أنّ هذا العنوان يمثّل ما يريده تمثيلا تاما.

إنّ المتأمل في عنوان "كليلة ودمنة"، يلاحظ أنّه يتركّب من إسمين لشخصين معينين، يربط بينهما واو العطف، وأوّل ما توحي إليه القراءة الأولية لهذا العنوان، أنّها قصة تدور أحداثها حول هذين البطلين المذكورين في غلاف الكتاب، ولكن أثناء الولوج لعالم متن النص نجد شيئا مخالفا لما توقّعه القارئ قبلا، لهذا عندما نستقرئ هذا العنوان نحويا، نجده يتركّب من جملة إسميّة، ظاهرة المبتدأ ومستترة الخبر، وكأنّ بالمؤلّف هنا يقول للمتلقّي لا تقف عند حد هذا العنوان، بل عليك البحث في فضاء النّص بقراءتك الفاعلة لتجد بذلك الخبر المستتر.

عندما يبدأ المتلقّي بقراءة نص "كليلة ودمنة"، يكتشف أنّ هذا العنوان وضع لتمثيل شخصيتين سرديتين محورتين، في إحدى أهمّ وأطول أبواب الكتاب، وهو باب"**الأسد والثور**" الذي يتكوّن من ستة أجزاء، بالإضافة إلى جزئي "باب الفحص عن أمر دمة"، الذين يعتبران تكملة لباب " الأسد والثور". ولعلّ السائل هنا وانطلاقا مما سبق، يسأل عن السّبب الوجيه الذي جعل "ابن المقفّع" يختار هاتين الشّخصيتين عنوانا لمؤلفه، عوض الشّخصيات الأخرى، رغم توفرها في الكتاب؟

إنّ بنية نص "كلية ودمنة" بالنّسبة "لابن المقفّع" تشبه حبة جوز يصعب كسرها والوصول إليها، إلاّ بعد جهد جهيد فيقول في بداية تقديمه للكتاب: «**من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا، لم ينتفع بما يبدو له من خطه ونقشه، كما لو أن رجلا قُدم له جوز صحيح لم ينتفع به إلاّ أن يكسره ويستخرج ما فيه**» (1).فمن خلال

1- عبد الله ابن المقفع، **كليلة ودمنة (باب عرض الكتاب لعبد الله ابن المقفع)**، ص58.

نص "ابن المقفّع" هذا، يوحي إلى أنّه مشبع بوجود علامات خطية فيه، بداية من العنوان الذي يوحي إلى علامتين مستترتين ضمن لفظتي "كلية ودمنة" ولعلّ المتمعّن في القراءة يجد أنّ هاتين العلامتين هما "الخير والشر" ولعل تقديم إسم "كليلة"على إسم "دمنة"، من باب تقديم الإيجابي على السلبي، حيث أنّ "كليلة" تمثّل جانب الخير في باب "الأسد والثور" في حين تمثّل "دمنة" جانب الشّر، ومن هذا المنطلق يكون مطابقا عنوان "كليلة دمنة" لـ عنوان "الخير والشر"، وبالتالي تكون اللفظتان الأخيرتان بمثابة العلامتين المستترتين ضمن العنوان البارز في غلاف الكتاب.

ولعلّ ما يقوّي هذا الاستنتاج، كون النّصوص السّردية الموجودة ضمن العناوين الفرعية لكلّ باب والعناوين الأمثال، التي تندرج بدورها ضمن كلّ عنوان فرعيّ، تحتوي على بناء دلاليّ قائم على الثّنائية الضّدية (الخير والشر)، حيث نجد العنوان الرّئيسي يولّد لنا ثنائيات ضدية في العناوين الفرعية التي تولّد بدورها ثنائيات ضدّية في العناوين الأمثال التي تندرج ضمنها.

إنّ مثل هذا الصّراع الثّنائي بين هذه الضّديات، منبعها فلسفة "ابن المقفّع" المبنية على الثنائية الضّدية (الخير والشر)، التي استقاها من الواقع الذي عاش فيه، ومن بين هذه الثّنائيات التي تندرج ضمن العنوان الرئيسي نذكر مثلا: الصّديق ≠ العدو، الذّكاء ≠ الغباء، الظّالم ≠ المظلوم، الطّيب≠ الشّرير، الحاكم ≠ المحكوم، الحقّ ≠ الباطل، الرّاعي ≠ الرّعية...الخ.

وانطلاقا مما سبق ذكره، فإنّ "ابن المقفّع" اختار "كليلة ودمنة"، عنوانا لكتابه أولا لأنّهما شخصيتان أساسيتان في باب "الأسد والثور"، الذي يحتل المكانة الكبرى في الفضاء النّصي للكتاب، وهو باب مليء بالأمثال والعبر والدّلالات المختلفة، حتى أنّه يحتوي على أكبر عدد من الأمثال، إذا ما قارنّاه بالأبواب الأخرى، ومنه فإنّ الذي يفرغ من قراءة نص "كلية ودمنة سيعلق في ذهنه بلا شك" باب الأسد والثور" أكثر من الأبواب الأخرى، وأكثر من ذلك سيعلق في ذهنه شخصيتي "كليلة ودمنة"، كما أنّنا نلاحظ أيضا أنّ الدلالة الباطنيّة لهاتين الشّخصيتين (الخير والشر) تنتشر كثيرا في باقي الأبواب، حيث تدور كلها حول هذه الثّنائية، كما نجد أيضا أنّ كلّ أبواب الكتاب قائمة على العمليّة التّواصلية التفاعلية بين

مخاطبٍ ومتلقٍ، انطلاقا من مقدمات الكتاب إلى آخر باب فيه، ويجسده بشكل واضح دائما باب "الأسد والثور" وعلى العموم فإنّ اطلاق عنوان "كليلة ودمنة" على الكتاب ككلّ، هو من باب تسمية الجزء للدّلالة على الكلّ.

ب- العناوين الفرعية:

من بين أهم الملاحظات المستخلصة في نص "كليلة ودمنة" استعمال مؤلفها أبواب فرعيّة داخل الكتاب، بعد العنوان الرّئيسي، حيث نجده قد قسّمه إلى خمسة عشر بابا، كلّ باب يتميّز بعنوان مستقل عن الآخر، ومن خصوصية العنوان أنّه يشكل إحدى دعائم النصّ ويعتبر علامة دالّة عليه، لهذا نجد هذه العناوين تحدّد مسبقا الموضوع الذي سوف تسير عليه فيما بعد العناوين المثل التي تُؤَطَر ضمن عناوين الأبواب، ويمكن أن يكون السّبب الرّئيسي الذي جعل "ابن المقفّع" يستعمل تقنية العناوين الفرعّية، هو جعل كل باب يستقل عن الآخر، عن طريق وضع عنوان مستقلّ لكل باب، ووضع عناوين أمثال مستقلّة هي الأخرى، تضمن في كل باب، كما أنّ عملية تأطير هذه العناوين تساعد المتلقّي على الانتباه لها وتذكر ما سبقها من نصوص، هذا ما يساعده على فك رموز النّص ودلالاته وإيحاءاته بشكل عام.

والملاحظ أيضا على هذه العناوين، أنّها صيغت باستعمال أسماء لشخصيات مختلفة، توحي للقاريء إلى أنّ النصوص المضمنة تحت هذه العناوين يدور موضوعها حول هذه الشّخوص المذكورة مثل: "باب الحمامة المطوّقة"، "باب الإسوار واللّبوءة والشّعهر"، "باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت"...الخ، وهذه التّقنية ستدفع بلا شك المتلقّي إلى أن يكون فضوليا، وبالتّالي يسعى إلى قراءة هذه النّصوص واكتشاف معنى حكايات تلك الشّخوص. وهذا ما يولّد حافزا إيجابيا لفعل القراءة من طرف المتلقّي(1).

والعلاقة التي تتحكّم بين العنوان الرئيسي وبين العناوين الفرعّية، وبين هذه والعناوين الأمثال، هي علاقة احتواء، حيث نجد الأوّل يحتوي الثاني والثالث، والثاني يحتوي الثالث بدوره.

1- ينظر: نجاة عرب الشعبة، خصائص البناء النصي في كليلة ودمنة

فعنوان "كليلة ودمنة" يختصّ بأكثر خطابات الكتاب طولا، ثم إنّ كل عنوان فرعي يضعه "ابن المقفّع" يكون افتتاحية أخرى لسؤال الملك (دبشليم) والذي سيجيب عنه الفيلسوف (بيديا)، ومن هذا المنظور نجد أنّ عنوان كتاب "كليلة ودمنة" وكلّ العناوين المندرجة ضمنه في كل باب، يعبّر عن محتوى الخطاب المندرج بدوره ضمن كل عنوان، وما نلاحظه في وضع هذه العناوين، أنّ العنوان الرئيسي سمي باسم شخصيتين بارزتين ضمن باب من أبواب الكتاب ككلّ ألا وهو "باب الأسد والثور"، إلاّ أنّنا نجد "ابن المقفّع" آثر تسمية عنوان هذا الباب بـ "باب الأسد والثور" لا باسم "كليلة ودمنة"، وهذا راجع إلى أنّ مضمون كل باب من قصص كليلة ودمنة، متعلق بشكل كبير بالسؤال الذي كان الملك يطرحه على الفيلسوف.

وإذا ما لاحظنا مثلا السّؤال الرّئيسي في باب "الأسد والثور" الذي جاء بصيغة **«اِضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء»** [1]، فنجد أنّ "ابن المقفّع" قد صاغ هذا السّؤال على لسان الملك (دبشليم) بطريقة تكتيكيّة، حيث إنّه سبق بذكر لفظة المتحابين عن لفظة الكذوب، في حين أنّه كان بإمكانه استعمال صيغة أخرى تكون من خلالها لفظة "الكذوب" هي الأولى، وبالتّالي يكون العنوان الفرعيّ لهذا الباب يسمّى بالشّخصية التي مثّلت صفة الكذوب ألا وهو "دمنة"، كأن يصوغ السؤال كالتّالي (اضرب لي مثلا لكذوب محتال يقطع بين متحابين حتى يحملها على العدواة والبغضاء). ومراعاة لسياق الجملة ولحرص "ابن المقفّع" على توجيه الملوك إلى السياسة الحكيمة، فإنّنا نجده قد آثر مسبقا تسمية الباب الأول بـ"الأسد والثور" معبرا بذلك على ثنائية الحاكم والحاشية، كذلك جاءت باقي العناوين الفرعية، بحيث نجدها مرتبطة ارتباطا وثيقا بسؤال الفيلسوف والذي تجسّده كل افتتاحية في كلّ باب.

ونمثل لعلاقة الاحتواء الموجودة بين العنوان الرّئيسي والعناوين الفرعيّة بما يلي:

1- ابن المقفع، **كليلة ودمنة (باب الأسد والثور)**، ص68.

كليلة ودمنة ←

- باب الأسد والثّور
- باب الفحص عن أمر دمنة
- باب الحمامة المطوّقة
- باب البوم والغربان
- باب القرد والغيلم
- باب النّاسك وابن عرس
- باب الجرز والسنور
- باب الملك والطير فنزة
- باب الأسد وابن آوى النّاسك
- باب الأسوار واللّبوءة والشّعهر
- باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت
- باب النّاسك والضّيف
- باب السّائح والصّائغ
- باب ابن الملك وابن الشّريف وابن التّاجر وابن الأكار
- باب الحمامة والثّعلب ومالك الحزين

ج- وظيفة العنوان:

لقد حدّدت سابقا وظائف العناوين بأربعة وظائف وهي: الإغراء- الإيحاء- الوصف-التّعيين، إلاّ أننا نجد "جاكسون" قد ربط بين الوظائف التي يؤديها العنوان ووظائف اللّغة، ليتبيّن بذلك أنّ للعنوان وظائف متعدّدة مثل: الوظيفة المرجعيّة (المرجع)، الوظيفة الإفهاميّة (المرسل إليه)، الوظيفة الشّعرية (الرسالة)، وقد توسّعت لدى "هنري ميتران Henri Mitterrand" لتشمل "الوظيفة التّعينية والوظيفة التّحريضيّة (حث فضول المرسل إليه ومناداته)، والوظيفة الإيديولوجية[1]، وإذا ما عدنا إلى عنوان "كليلة ودمنة" نجده يجسّد كل هذه الوظائف بكل أبعادها.

1 - ينظر سلمان كاصد، عالم النص، ص 16.

ج-1- الوظيفة التّواصلية: والهدف من هذه الوظيفة هو شد انتباه المتلقي، وما وضع "ابن المقفّع" "كليلة ودمنة" عنوانا لكتابه إلاّ دليل على ذلك، حيث يسعى من خلاله إلى ربط نوع من العلاقة التّواصلية بينه وبين المتلقي، وخلق نوع من التّقارب الذي يحرض المتلقي على القراءة والسّعي إلى تقليص المسافة بينه وبين الكتاب.

لقد خلق "ابن المقفّع" نوعا من هذا الخيط التّواصلي، بحيث جعل متلقي خطابه، يشدّ انتباهه لأوّل وهلة أثناء قراءته للعنوان "كليلة ودمنة" وأثناء ولوجه داخل خطابات هذا الكتاب وبالضّبط أثناء قراءته للباب الأوّل المعنون بـ "باب الأسد والثور"، يلاحظ أنّه لن يستطيع الوقوف فقط على قراءة أنواع القصص المسرودة في هذا الباب، بل يتعدّاه إلى قراءة باقي الخطابات الأخرى وهذا يكاد يكون بطريقة آلية لا واعية، وقد كان "ابن المقفّع" ذكيا عندما اعتمد على تشفير العناوين الفرعيّة مثلها مثل العنوان الرّئيسي، وهذا راجع إلى علمه المسبق أنّ هذه الطّريقة ستؤدي إلى الحفاظ على العمليّة التّواصليّة بينه وبين المتلقي، ولتوفّر هذا على عنصر الفضول، وهذا ما جعله يعتمد تقريبا في كل قصص "كليلة ودمنة" على ذكر صيغة الاستفهام "اضرب لي مثلا- كيف كان ذلك..." التي تعتبر بمثابة الخيط الذي يجعل العمليّة التّواصلية مستمرة بين المرسل (ابن المقفّع) وبين متلقيه، بحيث إذا حاول المرسل ترك هذا الخيط جذبه المتلقي، وإذا حاول المتلقي ترك هذا الخيط بدوره، حاول المرسل جذبه من جهته.

ج-2- الوظيفة الإنفعالية التّأثيرية / الإغرائية: إنّ الهدف الأساسيّ الذي يسعى من أجله "وضع العنوان"، هو جلب القارئ وإثارة انتباهه، وإغرائه بعبارات محبوكة، توحي بالتّبسيط والسّهولة والغموض في نفس الوقت، ولعلّ "كليلة ودمنة" كعنوان حقّق هذه الوظيفة، لأنّ المتلقي عند قراءته لهذا العنوان يثير انتباهه، ماهية الأحداث التي تدور حول هاتين الشّخصيتين، هذا ما يخلق نوعا من التّفاعل والانسجام بين النّص والقارئ انطلاقا من العنوان.

إنّ متلقي خطابات "كليلة ودمنة" يزداد إثارة وانفعالا عندما يلج إلى داخلها، لأنّه سيكتشف عناوين فرعيّة ليست نفسها العنوان الرّئيسي، لهذا نجد مثلا الباب الأول من الكتاب

"الأسد والثور" والأبواب التي تليه (باب الحمامة المطوقة، البوم والغربان، القرد والغيلم...) تغري المتلقي وتجعله أكثر فضولا لاقتحام عوالمها واكتشاف مكنوناتها.

وما نلاحظه هنا هو أنّ "ابن المقفّع" اعتمد على أسماء الحيوانات كعناصر أساسية في وضعه لعناوينه، ابتداء من إسمي "كليلة ودمنة" المطلقين على إثنين من بنات أوى، مرورا بالأسد والثور والحمامة والبوم والغراب وغيرها من الأسماء، وهذا راجع إلى أنّ معظم الشّخوص المستعملة في "كليلة ودمنة" عبارة عن حيوانات، -حتى أنّ الكتاب ككلّ يكاد يكون حديقة متنوعة من الحيوانات- فعلّها "ابن المقفّع" لتمثل أدوارها بالشّكل الذي يتماشى ومقاصده العميقة من جهة، ولكي تمارس من جهة أخرى نوعا من الضّغط على المتلقي لتجعله أكثر فضولا.

ج-3- الوظيفة المرجعية / الإحالية: وقد قصد "دوشيه" بهذه الوظيفة **«تعيين قدرة العنوان، على إحالة القارئ إلى إقليمية محدودة تبعا لإنتمائه اللّغوي لها»**(1) وهدفها هو تعيين موضوع الكتاب وتحديد غاياته، ولعلّ متلقي "كليلة ودمنة"، ولمجرد قراءته لهذا العنوان، يدرك أنّ الموضوع الذي هو بصدد قراءته يدور حول قصص معيّنة، وبهذا فإنّ هذا العنوان يشكل نوعا من التّعاقد بين "ابن المقفّع" كمؤلّف وقارئه.

وإذا ما عدنا دائما إلى الثّنائية الضّدية التي استنتجناها في العنوان الرّئيسي نجد عنوان "كليلة ودمنة" يحيل إلى موضوعه، إحالة ضمنيّة، بحيث نجد كلّ أبواب الكتاب تقريبا تتوفّر على الثّنائية الضّدية (الخير والشّر) المجسّدتين في شخصيتي "كليلة ودمنة".

ج-4- الوظيفة الإيديولوجية: يؤدي العنوان دورا استراتيجيا في بناء المنظور الإيديولوجي لدى المؤلف، حيث يساهم إسهاما كبيرا في بناء منظور الكاتب وعقيدته العامة، حيث يعرف "أوسبنسكي" هذه الإيديولوجية على أنّها **« منظومة القيم العامة لرؤية العالم ذهنيا»**2، ويرى بالتالي أنّ العنوان عنصر بنائيّ، ولعلّ عنوان "كليلة ودمنة" يظهر لنا هذه الإيديولوجيّة التي بنى عليها "ابن المقفّع" أفكاره السياسية، فجاء العنوان تعبيرا عن الثنائية الضّدية التي تحكي

1- سلمان كاصد، **عالم النص،** ص16.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لنا هذه الإيديولوجيّة، المبنية عموما على العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم، خاصة إذا ما علمنا أنّ العنوان السّابق لـ "كليلة ودمنة" في الكتاب الهنديّ هو "بنج تنترا" وقبله سمي بـ "نيتي شاستر" ومعناه "كتاب السّياسية"[1].

وبهذا فإنّ العنوان هو إيجاز واختزال للنّص في مبناه ومعناه، وإطناب النّص يبسط على مدى نصه ما طواه العنوان، فهذا يجمل ما يسعى ذلك إلى تفصيله.

تعدّ المقدمة، عتبة من عتبات السّياق، التي من خلالها يتسنّى للمخاطب وضع المتلقي في الإطار العام الذي يمكنه من فهم الخطاب بشكل صحيح، وبما أنّ المقدمة عبارة عن مفتاح رئيسي يعتمد عليه المتلقّي للولوج إلى عالم النّص، فإنّنا نجد في كتاب "كليلة ودمنة" مقدّمات وضعت في فاتحته، أوّل هذه المقدّمات هي مقدّمة "علي بن الشاه الفارسيّ"، ثم تليها مقدمة"برزويه المتطبّب"، ومقدمة"عبد الله ابن المقفّع".

2- مقدمات الكتاب:

يخبرنا "ابن المقفّع" في مقدّمة "علي بن الشاه الفارسيّ"، عن الكيفية التي فاز بها "الإسكندر ذو القرنين" ملك الرّوم على "فور" ملك الهند، وكيف ولّى هذا على الهند بعد هذا الملك المهزوم ملكا جبارا سمي"دبشليم" الذي طغى وتجبّر وازداد عتوا وظلما،حتى ظهر في زمانه فيلسوف حكيم وفاضل سمي "بيدبا" قام بتوجيهه وإخراجه من دائرة الظّلم، حتى انتهى به الأمر إلى وضع كتاب له سمّاه "كليلة ودمنة" الذي يعتبر دستورا لحسن السياسة.

ثم يلي هذه المقدّمة، باب بعثة الملك "أبي شروان كسرى"، " لبرزويه المتطبّب"، وقد ذُكر فيها خبر إرسال"برزويه" إلى بلاد الهند وتمكّنه من الحصول على الكتاب الأصليّ، وكيف تمكّن أيضا من ترجمته إلى الفارسيّة،ثم يليه باب"برزويه المتطبّب"، ويحتوي على سيرة "برزويه"، ومذهبه الديني وفلسفته في الحياة.

أما مقدّمة "باب عرض الكتاب لعبد الله ابن المقفّع"، فهي تتحدث عن الغرض العام للكتاب، ومدى أهميته الأخلاقيّة و التّربوية، كما بيّن فيها "ابن المقفّع" الطّريقة الأنجع لكيفية

1 - ينظر: ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص 18.

قراءة كتاب "كليلة ودمنة" والسّبل التي بإمكان المتلقي إتباعها لقراءة هذا الكتاب على الطّريقة السّليمة، كما قام أيضا بتوجيه المتلقي إلى فهم المعاني الباطنية المراد الوصول إليها من خلال محاورة الحيوانات ، لهذا حذّر "ابن المقفّع" متلقّي قصص "كليلة ودمنة" من أن يقف على قشور معانيها، بل يحثّه على التّغلغل إلى اللّب والجوهر، حتى ولو مزج ذلك باللّهو والمتعة.

وبشكل عام فإنّ مقدمة "ابن المقفّع" تتضمّن تعريفا للكتاب، ونسبته إلى واضعيه الأصلّيين، كما حدّد وجهته والغاية من تأليفه، يقول "ابن المقفّع" في ذلك: **« وينبغي للنّاظر في هذا الكتاب أن يعلم أنّه ينقسم إلى أربعة أغراض: إحدهما ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير النّاطقة، من مسارعة أهل الهزل من الشّباب إلى قراءته، فتستمال به قلوبهم، لأن هذا هو الغرض بالنّوادر من حيل الحيوانات، والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصياغ والألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليه أشد للنّزهة في تلك الصور، والثالث أن يكون على هذه الصفة، فيتّخذه الملوك والسوقة، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام، ولينتفع بذلك المصور والنّاسخ أبدا، والغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة»**(1)

وعلى هذا الأساس فإنّ كتاب "كليلة ودمنة" يفهم عند "ابن المقفّع" بوجهين، الأول وهو الحكمة التي تضمّنها في قالب مميّز لم يسبق أن عرف الأدب العربيّ مثله، والثاني وهو اللّهو الذي يثيره أشخاص الحكاية في المثل الخرافي، والأول غاية والثاني وسيلة.

والشّيء الذي لاحظناه في مقدمة "ابن المقفّع" أنّه حدّد لنا أنواعا من المتلقين، كل يقرأ الكتاب من خلفية معرفّية معيّنة، وكل له هدف معين في هذا الكتاب ،حتّى أنّنا نستنتج من هذا القول وضع "ابن المقفّع" لدرجات تلقٍ، سوف نقوم بتوضيحها في عنصر السياق الخارجيّ للخطاب.

وبهذا فإنّ المقدمات التي سبق بها كتاب "كليلة ودمنة" تعدّ عتبات سياقية، تعمل على وضع المتلقي في الإطار السياقيّ العام لقراءة القصص الموجودة بداخله، بحيث تعدّ مفاتيح

1- عبد الله المقفع، **كليلة ودمنة**، مراجعة وتعليق: الأستاذ عرفان مطرجي، ط1، دار الفكر، لبنان، 2005، ص67.

أساسية يعتمد عليها، فمقدمة "علي بن الشاه الفارسيّ" تضعه في السياق العام الذي أُنشئت فيه قصص "كليلة ودمنة" لأوّل مرة، وتعرفه على الكيفية التي تمّ بها ذلك، والأسباب التي ساهمت في وضعها، أما مقدّمة "ابن المقفّع" فهي بمثابة الآلة الموجّهة للكيفية التي تتمّ بها القراءة، كما تعدّ أيضا تنبيها للاستفادة بالجوهر الذي يختبيء داخل الأبواب المضمّنة في الكتاب.

3- أقطاب العملية التّواصلية:

أ- المخاطِب:

يعتبر المخاطب من بين أهمّ العناصر السياقّية،التي تتشكّل منها عملّية إنتاج الخطاب فالمرسل هو الذي يقوم بترتيب أفكاره و رغباته في الخطاب الذي هو بصدد إنشائه، لذا لا يمكننا أن نتحدّث عن أي خطاب بدون الحديث أولا عن منتجه، الذي يعتبر بمثابة **« الذّات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنّه هو الذي يتلفّظ به، من أجل التّعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، بإعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا والإستعداد له »**(1) .

لهذا لا نجد على الإطلاق، أيّ لغة طبيعّية يمكنها أن تمارس نشاطها التّواصليّ، إلاّ من خلال المرسل الذي يفعلها ويحققها في الواقع، وبفضل الفعل التّلفظي الذي يقوم به المخاطب، ينقل أيضا اللّغة من المستوى الصّوري إلى المستوى **التّداولي « ويغدو الخطاب عندها مؤشرا على كفاءته، بالقدرة على التّكيف مع محيطه، لأن الخطاب بإعتباره مقول الكاتب- أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء- هو بناء من الأفكار[...]، فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء»**(2).

إنّ القارئ الذي يلقي بالنّظرة الأولى على كتاب "كليلة ودمنة" يكتشف بأنّ مؤلف هذا الكتاب هو "عبد الله ابن المقفّع"، كما هو مبيّن في غلاف الكتاب، لهذا سنعتبره أحد أهم

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: **إستراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)**، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا 2004، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص46.

الأقطاب التّواصليّة في الكتاب، فهو المخاطب والمرسل لخطاب "كليلة ودمنة"، إلاّ أنّنا نجد في باب عرض الكتاب أنّ "ابن المقفّع" يقرّ على أنّ هذا الكتاب هو **« مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النّحو الذي أرادوا، ولم تزل العلماء من كلّ أمة ولسان يلتمسون أن يعقل عنهم، ويحتالون لذلك بصنوف الحيل، ويبتغون إخراج ما عندهم من العقل وإظهار ما لديهم من العلوم والحكم، حتى كان من تلك الحيل، وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطّير، فاجتمع لهم بذلك خلال أما هم فوجدوا منصرفا في القول وشعابا يأخذون منها، ووجوها يسلكون فيها»**[1].

فيتّضح ممّا سبق ذكره أنّ المؤلفين الأصليين لكتاب "كليلة ودمنة" هم مجموعة من علماء الهند، وهذا معناه أنّ الكتاب لا يتوفّر على مرسل أو مخاطب واحد، بل عدّة مرسلين ومخاطبين، وغير معروفين كذلك، لهذا سوف نتعامل مع النّص على أساس أنّه مؤلف من طرف "ابن المقفّع" خاصة إذا ما علمنا أنّه ترجم كتاب "كليلة ودمنة" إلى اللّغة العربية، وهناك من يقول على أنّه أضاف بعض الأبواب إلى الأبواب الأصليّة في الكتاب، كما أنّه لم يعرّبه تعريبا كاملا بأتم معنى الكلمة وإنّما **« كان مقتبسا له ومتصرفا فيه، ومضيفا إليه أبوابا، كذلك حور الكثير من قصصه ليجعله مقبولا لدى المسلمين، وملائما مناخهم العقلي»**[2].

كما أقرّ بعض النّقاد أيضا على أنّ المغزى من القصص الموجودة في كتاب "كليلة ودمنة" هو مغزى سياسيّ يتمّثل في نقد الحكم العبّاسيّ وهو الحكم السّائد في عصر "ابن المقفّع".

وبناء على هذا فإن كان "ابن المقفّع" مترجما لخطاب "كليلة ودمنة"، فإنّه وضعه حسب السياق الذي كان يقتضيه عصره، بشقيه الزماني والمكاني، بحيث يكون قد مرّن نصوص "كليلة ودمنة" لكي تكون مناسبة لما يريد هو إيصاله إلى متلقي عصره (العصر العباسي)، خاصة إذا ما كان الخطاب دائما مقترنا بقصدية مرسله، هذه التي بدورها تعتمد على بعد تاريخي خاص يقترن بمقصد المؤلّف الثّابت، ثم إنّ السؤال الذي يدعم هذا أكثر

1- ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، (باب عرض الكتاب لعبد الله ابن المقفع)، ص57.

2- المصدر نفسه، ص10.

والذي يطرح نفسه بنفسه هو لماذا وقع اختيار "ابن المقفّع" على ترجمة هذا الكتاب بالتّحديد من اللّغة السّنسكريتيّة (اللغة الهندية) إلى اللّغة العربية؟

من جانب آخر، وأثناء ولوجنا إلى عوالم "كليلة ودمنة" نكتشف مرسلين آخرين، تتضمّنهم مختلف أبواب هذا الكتاب، وهذا دائما بالعودة إلى ما يسمّى بقضيّة التّأطير، ففي القصّة الإطار "كليلة ودمنة" والتي تبدأ مع بداية "باب الأسد والثور" نجد أنّ المرسل هنا هو "بيديا الفيلسوف" الذي يبادره "دبشليم الملك" في كلّ باب بسؤال يحمّل الفيلسوف على الإجابة عليه بجملة من الأمثال التي تتضمّن بعضها البعض هذا الشكل الذي ينتج لنا فيما بعد مخططا مليئا بالأمثال المؤطّرة والأمثال المؤطّرة وبتعبير أدق، حكايات مؤطرة وحكايات مؤطرة.

إذن بالنّظر إلى العمليّة التّواصلية المفعلة بين الفيلسوف والحاكم، ونظرا لكون الثاني سائلا والأول مجيبا، فإنّنا نقول إنّ المرسل بهذا الشّكل هو الفيلسوف "بيديا" وما يدعم هذا أكثر هو السياق الذي جاء في مقدمة **«عرض الملك على بيديا تأليف كتاب يكون دستورا لحسن السياسة»**، حيث نجد في هذه المقدمة أنّ "دبشليم الملك" وبعد أن قوّم بيدبا الفيلسوف سيرته وأخلاقه، ولمّا استقرّ له الملك **«صرف همته إلى النّظر في الكتب التي وضعتها فلاسفة الهند لآبائه وأجداده، فوقع في نفسه أن يكون له أيضا كتاب مشروح، ينسب إليه، وتذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من قبله، فلما عزم على ذلك، علم أنّه لا يقوم به إلاّ بيديا»**[1]، وبالطّبع دعا الملك الفيلسوف بيدبا وعرض عليه أن يؤلف له **« كتابا بليغا[...] يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها على طاعة الملك، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية[...]»**[2].

فما نلاحظه من سياق كلام الملك، أنّه حدّد سلفا المواضيع التي سوف يدور حولها الكتاب الذي سيؤلفه "بيدبا الفيلسوف" والذي يتمّ في نسخة "كليلة ودمنة" بكل مواضيعها، وبالفعل انفرد "بيدبا الفيلسوف" بنفسه مدة عام كامل يؤلف الكتاب حتى فرغ منه فأرسل إليه "الملك دبشليم" بان يأتي بالكتاب، لكي يلقي في مركب مشهدي (Scénographie) حافل، حيث جمع فيه أهل المملكة و**« نودي في أقاصي بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب»**[3]، ثم إنّه لما

1- ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، ص29.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص32.

جاء ذلك اليوم «**أمر الملك أن ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسي لأبناء الملوك والعلماء وأنفذ فأحضره، فلما جاءه الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك وهي المسوح السود، وحمل الكتاب تلميذه، فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم، وقام الملك شاكرا، فلما قرب من الملك كفّر له وسجد ولم يرفع رأسه، فقال له الملك: إرفع رأسك فإن هذا يوم هناء وفرح، وأمره الملك أن يجلس فحين جلس لقراءة الكتاب سأله الملك على كلّ باب من أبواب الكتاب، وإلى أي شيء قصد فيه، فأخبره بغرضه فيه وفي كل باب فإزداد الملك منه تعجبا وسرورا فقال له: يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي وهذا الذي كنت أطلب[...]»[1].**

وما نلاحظه هنا، هو توفّر العناصر السياقية الشّاملة، لسبب تأليف كتاب "كليلة ودمنة" وكيفية تأليفه، ثم إنّ صفة المشهديّة في هذا المقطع بيّنت لنا أقطاب العمليّة التّواصلية بحيث توفّر المرسل وهو الفيلسوف "بيدبا والمتلقي وهو الحاكم دبشليم ومن حضروا حفل إلقاء الكتاب من العوام وأهل المملكة من أبناء الملوك والعلماء، ثم توفّر زمن إلقاء الخطاب (كليلة ودمنة) والمكان وهو قصر الملك.

ومن خلال هذا نجد أنّ ما سمّاه "أميل بنفنيست (E.Benveniste) بالجهاز الصّوري للتّلفظ قد تحقّق في هذا المشهد الذي توفّر على[2]:

1. المتكلّم (الفيلسوف بيدبا) الذي يتدخّل كبعد في إطار شروط ضرورية لتحقيق تلك العملية وتتمثّل فيما أسماه إنّيّة الخطاب (Instance de discours).

2. يحتاج المتكلم إلى مستمع (دبشليم الملك) وهذا المستمع يتحوّل بدوره إلى متكلم بفعل الخاصية التّناظرية، وقد تحقّق ذلك بطرح الملك للأسئلة في كل مرة، بصيغ مختلفة (حدّثني عن، قد سمعت، أخبرني...) ما يؤدي إلى رد الفيلسوف على هذه الأسئلة بضربه لمختلف الأمثال والحكم.

---

1 - ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص 32.

2 - Voir : E . Benveniste, problèmes de linguistique générale, Tome1, Gallimard, paris 1966, pp 254-255.

3. أما إنّية الخطاب فتشكل تلك الظّروف المحيطة بتلك العمليّة أثناء تحقيقها، وهي الزمان والمكان.

ويمكن التّمثيل لهذه العناصر بالمخطّط التالي:

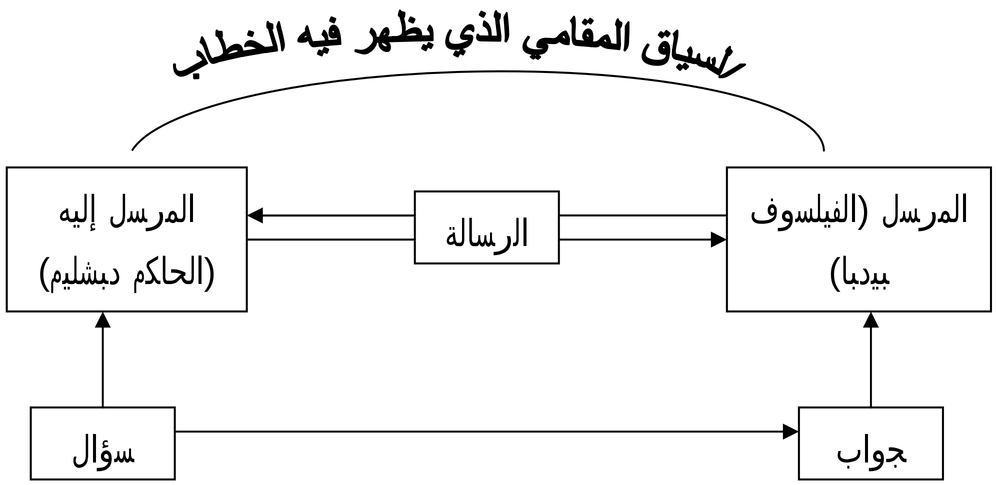

وما نلاحظ في هذا المخطّط أنّ العملية الحوارية هي التي فعلت سيرورة تبادل الخطاب بين الفيلسوف كمخاطب والحاكم كمخاطَب، أما العناصر السياقية الأخرى (زمان+مكان) فهي عناصر مساعدة تساعد على وضع خطابات "كليلة ودمنة" في إطارها العام. يمكننا أن نستنتج من كل ما سبق ما يلي:

إنّ ابن المقفّع كتب إسمه في غلاف كتاب "كليلة ودمنة" كمؤلف ومترجم له، في حين لم نجد أبدا أثناء ولوجنا إلى العوالم الداخلية "لكليلة ودمنة" أيّة إشارة إلى أنّ "ابن المقفّع" هو المؤلف أي هو المرسل، حتى أنّه افتتح الباب الأول (باب الأسد والثور) بقوله: **« قال دبشليم الملك لبيديا الفيلسوف، وهو رأس البراهمة: اِضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء[...]»**[1] فما فعله "ابن المقفّع" هنا (هو) أنّه نسب خطابات "كليلة ودمنة" بكل أبوابها إلى مرسل واحد وهو "الفيلسوف بيدبا"، ولم نجد ولو ضميرا واحدا نسبه إلى نفسه، إذن السياق هنا يفرض علينا أن نقول أنّ المخاطب في "كليلة ودمنة" هو الفيلسوف، ولكن بالمقابل سوف نطرح سؤالا واضحا وهو أين "ابن

1- ابن المقفع، **كليلة ودمنة (باب السد والثور)**، ص68.

المقفّع" من كل هذا؟ إذن الإشكالية المطروحة هنا تكمن في صعوبة تحديد المخاطب في خطابات "كليلة ودمنة" لهذا سوف نلجأ إلى ما طرحه علينا الباحثان "ليتش وشورت" (G.N.LEECH ET M.H. SHORT) بحيث اقترالحا «الحديث عن كاتب ضمني وقاريء ضمنيّ (مفترض)»[1] .

وبهذا سوف نعتبر "ابن المقفّع" مؤلفا ضمنيا لكتاب "كليلة ودمنة" وجّهه إلى قارئ ضمني من المؤكد أنّه القارئ المستهدف لديه، وهو المتلقي المتوفر في عصر "ابن المقفّع"، أما "الفيلسوف بيديا" فسنعتبره مرسلا مباشرا لخطابات "كليلة ودمنة" بما أن كل الأبواب تمت بحواره المتبادل مع "الحاكم دبشليم" هذا الذي سوف نعتبره متلقيا مباشرا كذلك، نوضح هذا في المخطط التالي:

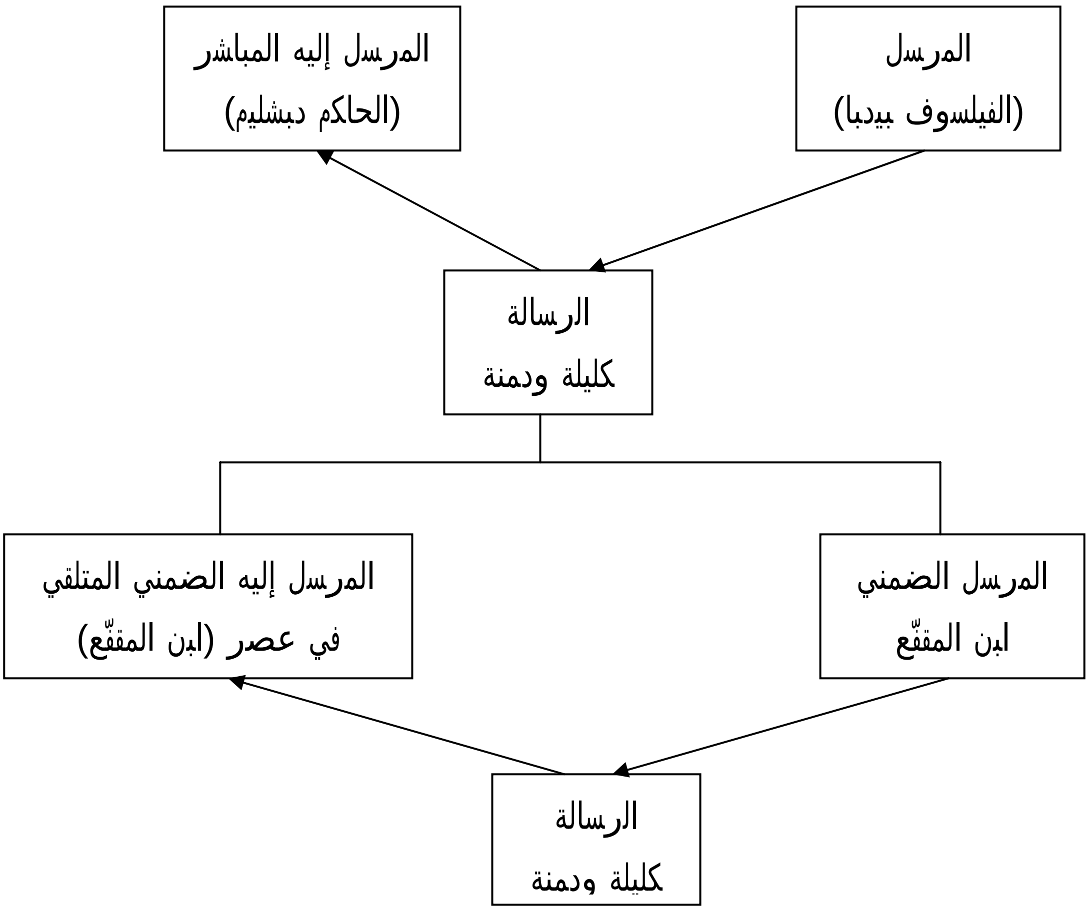

وباعتبار هذا فالحوار الذي جمع بين الفيلسوف والحاكم جاء في سياق تناظري خاص، أما اختيار "ابن المقفّع" بترجمة كتاب "كليلة ودمنة" بالتّحديد، غرضه السياق العام

1- محمد خطابي، **لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)**، ص302.

الذي كان سائدا في العصر العباسي، وهو العصر الذي كان "ابن المقفّع" يعيش فيه، ولا شك أنّه وجّه كتابه هذا إلى متلقين فرضهم في مخيّلته مسبقا، هؤلاء الذين وضع لهم درجات كل حسب قدراته الاستيعابية كما سيتبيّن لنا ذلك فيما يلي.

ب- المتلقي:

*** درجات التّلقي عند"ابن المقفّع":**

يعتبر المتلقي أو المرسل إليه أو المخاطَب، أحد ثاني أقطاب العملية التواصلية، فبدونه لا يمكن في حال من الأحوال أن تتمّ هذه العملية، بحيث تبقى بذلك الشفرات التي يستعملها المخاطب في خطابه غير واضحة المعالم، إن لم يوجد متلقٍ معيّن، يفعلها ويفك رموزها، كما أنّه لا بد للمرسل أن يستحضر متلقيه الضمني الذي يكون حاضرا في ذهنه عند إنتاجه للخطاب، لذا نجد أنّ استحضار المرسل إليه **«هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التّنويعية، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه.»**(1) هذا ما يجعل مدرسة"كونستانس" الألمانية تعطي عناية كبيرة للقاريء، حتى أننا نجد "هانز روبرت ياوس " Hans robert youss " أطلق مصطلحا بالقارئ بصفته طرفا مفعلا في النّص، أسماها " جماليات التلقي"، وتقوم هذه على عدّة أسس هي: 2

1- القارئ هو المستهدف في أي عمل أدبي، حيث إنّه لا قيمة لأيّ نص أدبيّ بدون قراءته.

2- يعتبر النّص الأدبيّ بطبيعته المجازية نصا مفتوحا يسمح بتعدّد القراءات.

3- يملك القارئ مرجعيات مختلفة تمكّنه من تشكيل المعنى الأدبي للنّص.

وانطلاقا من هذا نجد" ابن المقفّع"، قد تفطّن مسبقا لمثل هذه الإشكالية، إشكالية تعدّد المتلقين للنّص الواحد، حيث يختلفون في درجة قدرات كل واحد منهم، في كيفية استيعابهم للنص الواحد، لهذا نجده كمنشئ لخطابه "كليلة ودمنة"، يفترض ثلاثة قرّاء أو متلقّين

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، **إستراتيجية الخطاب**، ص 48.

2 - ينظر: إبراهيم خليل: **في النقد والنقد الألسني**، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان 2002. ص 109.

يختلف كل واحد منهم في كيفية نظرته إلى طبيعة هذا النص، لهذا قسّم "ابن المقفّع" متلقيه إلى ثلاث درجات: القارئ العادي (الهاوي) – القارئ العارف (المتذوق) - القارئ النّاقد (النّموذجي).

أ- القارئ العادي (الهاوي):

وهو الذي لا يقدّم أية إضافة للنص، وهذا ما يسمّى بالقارئ السلبي، يقول ابن المقفّع:« **وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنّه ينقسم إلى أربعة أغراض: أحدهما ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة، من مسارعة أهل الهزل من الشبان على قراءته فتستمال به قلوبهم، لأن هذا هو العرض بالنوادر من حيل الحيوانات.**» [1] فالواضح أنّ الغرض الأوّل من الكتاب هو توجيهه إلى المتلقين، غير العارفين وغير الواعين، كالشباب المحبين للّهو، والأطفال الصّغار، وأما تلبية حاجة هذا النوع من المتلقين، فيمثله المثل الخرافي الذي يشتمل على عناصر الحكاية كالمقدمة والموضوع والحوار والخاتمة، كما أنّ الجو الذي خلقه" ابن المقفّع" في هذه الحكايات له تأثير كبير، لتوافقه مع عالم الطفل المتخيّل في مراحل نموّه، كما أنّ الحوار الذي يجري بين الحيوانات يشدّ انتباه الطفل وحتّى أنّه تضحكه أحداث الحكايات، لهذا يقوم باستخلاص العبر منها بشكل تدريجي يتماشى وعقليته البريئة ولعلّ حكاية" القرد والنجار" توضّح لنا ذلك: « **زعموا أن قردا رأى نجارا يشقّ خشبة وهو راكب عليها، وكلما شقّ منها دراعا أدخل فيها وتدا، فوقف ينظر إليه وقد أعجبه ذلك، ثم إن النّجار ذهب لبعض شأنه فركب الخشبة وجعل وجهه قِبل الوتد، وظهره قِبل طرف الخشبة، فتدنى ذنبه في الشّق ونزع الوتد فلزم الشّق عليه، فكاد يغشى عليه من الألم، ثم إن النجار وافاه فأصابه على تلك الحالة، فأقبل عليه يضربه، فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد ما أصابه من الخشبة**»[2] فنلاحظ أنّ روح الدّعابة التي تتوفّر عليها الحكاية تتلاءم والعقلية الساذجة للمتلقي الطفل، ولعل أنّ هذا الأمر ليس بالغريب، أن يضع" ابن المقفّع" القارئ العادي، ضمن

1- ابن المقفع، كلية ودمنة (باب عرض الكتاب لعبد الّله ابن المقفع)، ص67.

2- المصدر نفسه(**باب الأسد والثور**)، ص 71.

متلقيه إذا ما علمنا أنّه كان معلما ومؤدبا، وتعليم وتأديب أبناء الأمراء يتطلّب تغذية عقولهم بالآثار التاريخية والأدبية، وتقويم نفوسهم بالحكمة والقصص الأخلاقي.

ب -القارئ العارف أو المهتم:

وهو القارئ الذي باستطاعته بما أوتي من خبرة، أن يعيد إنتاج النّص الأدبي بنفسه، ولعلّ القارئ العارف المقصود عند" ابن المقفّع" هو الحاكم أو السلطان فيقول في سياق حديثه عن المتلقين المحدّدين سلفا من جانبه والذين وجه إليهم هذا الكتاب:«[...]**والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان، ليكون أنسا لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليه أشدّ للنزهة في تلك الصور، والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتّخذه الملوك والسوقة، فيكثر بذلك اِنتساخه ولا يبطل فيخاف على مرور الأيام، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا»** (1)

هذا ومما لا يخفى علينا أنّ الكتاب موجه بالدرجة الأولى إلى الحكام، وهذا مستنتج من خلال سياق الحوار الأساسي الذي جرى في كتاب" كليلة ودمنة"، والذي كان بين الملك" دبشليم" و الفيلسوف "بيدبا" ثمّ إنّ أهم المواضيع التي جاءت في الكتاب تقريبا كلّها موجّهة إلى الملوك والسلاطين، حيث يظهر لنا " ابن المقفّع" هؤلاء في كل تفاصيل حياتهم وأحوالهم، وصوّر لنا كل ما يجري في مختلف بلاطاتهم، حتّى أنّ "ابن المقفّع" يعطي مختلف النّصائح للملوك متسترا تحت ستار ألسنة الحيوانات نظرا لانتشار ملوك جبابرة في العصر الذي عاش فيه.

وبهذا فإنّه يمكننا أن نسمي المتلقي" الحاكم" عند " ابن المقفّع" بالمتلقي المستهدف كما سمّاه "إيزر"، وهذا النّوع من المتلقين ليس **« سوى واحد من آفاق النص، وعلى ذلك فإن دور القارئ ينجم عن تداخل الأفاق كلّها، وبذلك فإن هذا القارئ هو إعادة بناء مفهومية تمثل الاِستعدادات أو القابليات التاريخية للجمهور الذي هو مرمى المؤلف.»**(2)

1- ابن المقفع، كلية ودمنة (باب عرض الكتاب لعبد الله ابن المقفع)، ص67.

2- عبد الناصر حسن محمد: **نظرية التوصيل وقراءة النّص الأدبي**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1999، ص135.

"فالحاكم" هو مرمى "ابن المقفّع"، وقد جعله هدفا نسبة إلى السياق التاريخي والفترة الزمنية التي عاش فيها "ابن المقفّع" والتي كانت تقتضي هذا.

ج - القارئ النّاقد (النموذجي):

يطلق عليه" أمبرتو إيكو" تسمية القارئ أو المتلقي النموذجي (Le lecteur modèle) ولعلّ هذا المتلقي هو الغاية الكبرى "لابن المقفّع"، حيث يقول: « **والغرض الرابع وهو الأقصى، مخصوص بالفيلسوف خاصة».**[1] وهو المتلقي الذي لا يستطيع إنتاج النّص في نفسه فقط، بل على الورق أيضا، بمعنى أنّه يحتوي على قدرات تمكّنه من إعادة صياغة النص من جديد و بشكل جديد أيضا، ويسمي أقطاب مدرسة "كونستانس" هذه القراءة بالقراءة المنتجة [2].

ولعلّ استهداف الفيلسوف كمتلقٍ نموذجي "لابن المقفّع"، تظهره لنا انتشار الحكمة في كتاب "كليلة ودمنة"، بل ليس هذا فقط، إنّ المتحدّث في الحوارات التي اعتمد عليها بالكامل " ابن المقفّع" في الكتاب هو حوار الفيلسوف "بيدبا"، حتّى أنّ الكتاب بأكمله عبارة عن أجوبة يرد عليها الفيلسوف بيدبا، للحاكم "دبشليم"، لهذا نجد "الشيخ إبراهيم اليازجي" يقّر على أنّه لم يخّط في كتاب "كليلة ودمنة" حرفا« **إلاّ وقصد به شيئا من الحكمة العائدة إلى توفير مادة العقل وتهذيب السيرة والسريرة والدربة في الأحوال المعاشية والمعادية... حتّى أنّه محدود من كنوز الحكمة المشرقية، بل الحِكمة الآدمية، التي لم يجتمع منها في كتاب، ما اِجتمع فيه على صغر حجمه وقلّة جرمه»**[3].

لم يكتف "ابن المقفّع" بوضع متلقٍ نموذجي لمؤلفه هذا، بل استطاع أيضا أن يصوغ تصوّرا شاملا للتلقي النموذجي، ينطلق منه المتلقي أثناء قراءته لنص "كليلة ودمنة"، وهذا التّصور الشامل الذي بإمكانه تسميته "استراتيجيات التلقي النّموذجي عند " ابن المقفّع"، والتي تنبني على ما يلي:

1- ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، ص67.

2- ينظر: إبراهيم خليل، **في النقد والنقد الألسني**، ص109.

3- حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، ص456.

1- ينبغي للمتلقي أن يعرف الوجوه (الأغراض)، وألاّ تكون غايته التّصفح.

2- ينبغي للمتلقي إعمال الروية، وإنّ المتلقي العاقل هو الذي يعلم الغرض ظاهرا وباطنا.

3- ينبغي للمتلقي أن يديم النظر من غير ضجر، ويتلمّس جواهر معانيه.

4- ينبغي للمتلقي أن يعمل بما علم، ويجعله مثالا لا يحيد عنه ودستورا يقتدي به. (1)

والملاحظ مما مضى أنّ" ابن المقفّع"، يطلب من متلقيه أن يشحذ النظر فيما يتلقى، ثمّ يفكر ويديم التّفكير، وإن وصل إلى المعرفة الحقّة، يطالبه بالعمل بما توصّل إلى معرفته، وهذه هي أغراض التلقي عند " ابن المقفّع" حسب ما يبيّنه لنا السّياق العام الذي جاء في " باب عرض الكتاب لعبد اللّه ابن المقفّع".

5- الزمان والمكان في "كليلة ودمنة":

تعتبر مقولتا الزمان والمكان، من بين أهم العناصر التي يتكوّن منها السياق، حيث لا يمكننا أن نفهم أيّ خطاب كان بين مرسل ومرسل إليه معينين، إلاّ بالعودة دائما إلى ظروف إنتاجه والتي نعني بها الظروف الزمانية والمكانية.

فمقولة الزمن، تعني تموقع أحداث معيّنة في خط زمني معيّن، لهذا نعتبر دائما لحظة التلفظ هي المرجع الأساسي لفهم النصوص بكل أنواعها، حيث كان لزاما علينا **«أن نربط الزمن بالفعل ربطًا قويا في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزمن والفاعل، لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية»** (2).

وبهذا فإنّ الحديث عن العلاقة المرجعية بين المرسل والسّياق الذي يدور فيه الخطاب، هو تحديد الزمان والمكان، حيث يكون مفروضا على المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفّظ، لكي تتمّ عملية تأويل النّصوص بشكل صحيح.

1- علي بن تميم: **السرد والظاهرة الدرامية(دراسة في التّجليات الدرامية للسرد العربي القديم)،** المركز الثقافي العربي، المغرب 2003، ص256.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، **إستراتيجية الخطاب**، ص83.

لقد عالج" إميل بنفنيست "E.Benveniste "، مقولة الزمن في كتابه "قضايا اللّسانيات العامة"، حيث أفضت دراسته هذه إلى تقسيم الزمن إلى ثلاثة أقسام: الزمن الفزيائي للعالم- الزمن الحدثي- الزمن اللّساني. (1)

***فالزمن الفيزيائي للعالم:** يقصد به الزمن الطبيعي، وهو خطيّ لا متناه، يمكن للإنسان أن يحس به ويدركه في حياته اليومية، ويمكنه أيضا أن يقيسه حسب هواه وأحاسيسه وإيقاع حياته، وهذا لاعتبار نوع هذا الزمن مدة متغيّرة.

أما الزمن الحدثي Temps chronique: وهو الزمن التاريخي، وزمن الأحداث من بدايتها إلى نهايتها، ويمكن للإنسان أن يدرك هذا النوع من الزمن، عن طريق الذاكرة، كما يمكنه أن يعود دائما إلى هذا الزمن باعتباره مرجعا، نظرا لأهميته التاريخية، حيث تعتبر "أوريكيوني" الزمن على أنّه **«حصر حدث ما في محور الأزمنة بالنسبة لوقت معتمد كمرجع»**(2).

أما الزمن الثالث فهو الزمن اللساني Temps linguistique : وهو الزمن اللّغوي، أو زمن الحديث كما يسميه "بنفنيست"، حيث يقول: **«بواسطة اللغة تتجلّى التجربة الإنسانية للزمن، والزمن اللساني كما يبدو لنا، لا يمكن اختزاله في الزمن الحدثي أو الفيزيائي.»**(3) ، فالزمن اللّغوي يرتبط بلحظة الكلام أو الحديث والذي يمثله الزمن الحاضر، أما زمنا الماضي والمستقبل فهما مرتبطان به.

ولكي يتّضح لنا ذلك أكثر فالملاحظ أنّه عندما أحكي مثلا ما وقع لي، فإنّ الماضي الذي أحيل إليه أثناء حديثي، لا يتحدّد إلاّ في علاقته بحاضر فعل الكلام، الذي أنا بصدد إنجازه للتو، وفي علاقتي مع الآخر الذي يطابق زمنه زمني، ومن خلال هذا تتّضح أكثر علاقة المتكلم بالمخاطب(4).

1- voir : E , Benveniste : **problèmes de linguistique générale**,T2 Gallimard, Paris 1974, P70.

2-C. k. Orechioni , **l'énonciation de la subjectivité dans le langage,** P45.

3 -E.Benveniste ,problèmes de linguistique générale ;p 73

4 - ينظر: سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي(الزمن، السرد، التبئير)**، ط4، المركز الثقافي العربيين المغرب 2005 ص65.

إنّ الزمن يظهر لنا في اللغة، إمّا بواسطة القرائن التي تتحدد بجوار الأفعال عند نهايتها، أو عن طريق الظروف (ظروف الزمان) والتي تسمّى بالظروف أو المبهمات الزمانية: الآن-اليوم-الغد-الأمس- الأسبوع الماضي-الشهر المقبل-السنة الماضية...الخ، وتبقى لحظة الخطاب هي المحور الأساسي الذي تترتّب من خلاله مبهمات الزمن.

هذا فيما يخص الزمان الذي يرتبط به المكان ارتباطا وثيقا، فاللحظة التي يتمّ فيها التلفظ بالخطاب هو الزمان، أمّا الفضاء الذي يتمّ فيه هو المكان، ولا يتم تحديد الأول بدون تحديد الثاني، وعليه فإنّه لا يتسنّى لأيّ متلقٍ فهم الرسالة، دون توفّره على معلومات مسبقة عن مكونات المتكلم والمتلقي، الزمان والمكان ونوع الرسالة، بصيغة أخرى فإنّه لا يمكن لأي متلقٍ أن يفهم أو يؤول رسالة ما إلاّ إذا وضعها مسبقا في سياق خاص لها حيث إن «**للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه**»[1].

إنّ الدلالة المرجعية للمكان، لا تحدد إلاّ من خلال تلك النقطة في الفضاء، التي تجري فيها عملية التخاطب، كما أنّ وضعية المخاطب هي التي تحدد لنا وضعية جهات الأشياء، بحسب القرب أو البعد، الأمام أو الوراء المشار إليه أثناء الحديث، فإن قلنا مثلا: الكتاب أمامي، هذا معناه أنّ هناك أشياء أخرى تحيط به من الخلف أو اليمين أو اليسار، ليكن مثلا "الخزانة" حيث تتمّ مقابلة الكتاب بالخزانة من حيث درجة البعد أو القرب.

من خلال هذا يتّضح لنا، أهمية الإشاريات المكانية لفك الغموض عن الخطاب وتشترط في ذلك معرفة مكان التلفظ واتجاه المتكلم «**لأنّه قد يقود استعمال إشاريات المكان، في غياب الدقة في التّحديد عند التلفظ إلى اللبس**»[2]، لهذا على المخاطب دائما أن يراعي وضعية المخاطَب والأشياء المحيطة بهما.

وقد حدّدت لنا "أوركيوني" هذا الشرط، الذي يتحكّم في إبهامية الظروف المكانية، بقولها: أن تقول إنّ "س" خلف "ع" بمعنى أنّ "س" يوجد في الجهة الخلفية لـ "ع"، وهو استعمال

1 - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 56.

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 85.

غير مبهم، وأن نقول إنّ "س" أمام "ع" فينبغي للمتكلم أن يأخذ بعين الاعتبار وضعيته الخاصة في الفضاء، ليكون بذلك استعمال الظروف هنا مبهما[1].

لعل دراستنا لعنصر الزمن في كتاب "كليلة ودمنة"، يتّضح من خلال دراستنا للزمن الخارجي أو الخارج نصي، الذي يضمّ زمن الكتابة أو زمن تأليف "ابن المقفّع" لمؤلّفه هذا والزمن الداخلي الذي وظفه كذلك في هذا الكتاب.

إنّ الزمن الذي كتب فيه "كليلة ودمنة" هو زمن غير محدد تاريخيا، لهذا يصعب علينا تحديده تحديدا دقيقا، وهذا راجع إلى صعوبة تحديد المؤلف الأول لهذا الكتاب إذا كان "ابن المقفّع" مترجما، وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أنّ القصص الموجودة في الكتاب ليست من أصل واحد، ولا لمؤلف واحد، وسبق لـ "ابن المقفّع" أن ذكر في بداية تقديمه للكتاب، على أنّه كتاب لمجموعة من العلماء إذ يقول :« **هذا كتاب كليلة ودمنة وهو ما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث.**»[2] فكلمة العلماء بالجمع، تدلّ على كثرة المؤلفين، مما يدفعنا للقول بتعدد الأزمنة، ربما كل عالم كتب شيئا ما في الكتاب في الزمن الذي كان يعيش فيه، خاصة أنّ القصص الموجودة فيه، هي قصص جمعها هؤلاء العلماء لمختلف الأغراض.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى وإذا سلمنا بمقولة أنّ "ابن المقفّع" هو واضع كتاب "كليلة ودمنة" استنادا إلى مقولة "الجاحظ" التي أوردها حنا الفاخوري في كتابه "تاريخ الأدب العربي": « **ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس، أنّها صحيحة غير موضوعة، وقديمة غير مولدة، إذا كان مثل "اِبن المقفّع" و"سهل بن هارون" و" أبي عبيد الله" و"عبد الحميد" [...] لا يستطيعون أن يولّدوا مثل تلك الرسائل ويصفوا مثل تلك السير**»[3].

فالملاحظ من سياق الكلام، أنّ "الجاحظ" نفسه كان يشك في صحة أنّ "ابـ ن المقفّع" ترجم كتاب "كليلة ودمنة"، بل شك في أنّه هو المؤلف الحقيقي للكتاب، وإذا كان يدّعي

1 - Voir : C.K Orechioni : **L'énonciation de la subjectivité dans le langage**, p 49.

2 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، ص57.

3- حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، ص446.

الترجمة فإنّ ذلك سببه خوفه من الحكام و السلاطين، لتبعه ما ورد ذكره في كتابه، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يتم الفصل فيه إلى يومنا هذا.

وعليه فإذا سلّمنا على أنّ "ابن المقفّع" هو مؤلف الكتاب، وإن كان مترجما له، فإنّه غيّر بعض الشّيء فيه، ولم يقم بوضعه عبثا، بل كانت هناك مقاصد مختلفة لوضعه لهذا الكتاب وإن كانت هذه المقاصد فلا بدّ أنها مستقاة من سياق الفترة الزمنية التي كان يعيش فيها، لهذا كان بإمكاننا أن نقول على أنّ الزمن التاريخي للكتاب، هو بدون شك مرتبط بزمن المؤلف"ابن المقفّع" ، وبهذا فإنّنا نقول أنّ الزمن المرجعي لـ "كليلة ودمنة" يعود إلى العصر العباسي الذي عاش فيه "ابن المقفّع" أي في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة(106هـ - 143هـ) وهي نفس الحقبة التي عاش فيها المؤلف.

هذا العصر الذي كان يتميّز بالظلم، ابتداء من سقوط آخر خلفاء بني أمية "مروان بن محمد" (127هـ - 132هـ) وصولا إلى تنافس الهاشميين والعباسيين، كل من جانبه يحاول أن يستأثر بالحكم والسلطة، وما نتج عن هذا التنافس من قتل وسفك دماء، دون رحمة وشفقة، لهذا جاء كتاب "كليلة ودمنة" متزامنا مع هذه الفترة الزمنية والتاريخية، واعظا الحكام والملوك على الانزلاقات الخطيرة التي وقعت بينهم، حتى شارفت وحدة الأمة على الانهيار، ولهذا أيضا جاء هذا النص على شكله المقنّع هذا.

هذا فيما يخص الزمن الخارجي المرتبط بالمؤلف(ابن المقفّع)، وإذا ما عدنا إلى الفقرة التي تتحدّث في الكتاب عن السبب الذي وضع من أجله، فإننا نجد الفترة الزمنية التي عاش فيها "الإسكندر ذو القرنين" وهي الفترة التي عاش فيها الملك "دبشليم" والفيلسوف البرهمي"بيدبا" وبالتالي هي الفترة الزمنية التي كتب فيها كتاب "كليلة ودمنة" بحكم أنّ الملك "دبلشيم" هو الذي طلب من الفيلسوف "بيدبا" أن ينشئ له هذا الكتاب كما هو مذكور في مقدمات الكتاب.

أما فيما يخص الزمن الداخلي وإذا ما راعينا مبهمات الزمان فإنّنا نكاد نجزم بعدم وجود مثل هذه المبهمات الزمنية التي استعملها "ابن المقفّع" في الكتاب، لأنّ السياق في خطاب "كليلة ودمنة" أوجد لنا نوعا من الغموض في كيفية تحديد الزمان فيه، وهذا راجع

ربما لنموذجية حكايته، بحيث يعرضها علينا"ابن المقفّع" بصفتها حوادث تؤخذ منها العبرة ومن أحوال شخوصها وتصرفاتهم، كما تستنبط الحكمة من نتائج أحداثها والأحداث التي وظفها "ابن المقفّع" في الأمثال النّموذجية تعبر عن أحداث لم تقع في زمن محدد بعينه، بل يمكن أن تحدث في زمن الماضي، في الحاضر أو في المستقبل، بمعنى أنها صالحة الحدوث في كل زمن.

والملاحظ كذلك أنّ ابن المقفّع ابتدأ تقريبا كل حكايات "كليلة ودمنة" بصيغ"**زعموا**" (وهو فعل ماضي مسند إلى فاعل مجهول)، وهذا سواء الحكايات الإطار أو الحكايات المؤطرة (زعموا أن غرابا- زعموا أن علجوما– زعموا أن أسدا- زعموا أن قملة...الخ)

وهذا يدل على احتمال الأحداث المذكورة للصدق والكذب وبالتالي فالزمن الذي حدثت فيه يكون موجودا أو غير موجود، أما الأحداث التي صاغها "ابن المقفّع" فكلها صيغت في الزمن الماضي، إلا أنّ صفة المثل فيها يجعلها ممكنة الحدوث في أي زمان أو أي مكان.

أما فيما يخص المكان فإن مشابهة حكاية "كليلة ودمنة" للعمل المسرحي نوعا ما يجعلها تتوفر على واحد من عناصره ألا وهو المكان، حيث لا يكاد يبدأ المؤلف في سرد أي حكاية إلا بوصف المكان الذي تجري فيها أحداثها، إلا أنّ هذا الوصف لهذا المكان يتراوح ما بين الدقة، حيث يذكر لنا في بعض الأحيان أسماء لبعض المدن ممكنة الوجود وما بين الشمول فيكون وصفه للمكان عامرا وعاما.

إنّ المكان الأصلي الذي أنجزت فيه قصص كليلة ودمنة إذا ما اعتبرناها من أصل هندي، فهو "الهند" وأما اعتبار أنّ المترجم أو المؤلف لهذه القصص هو"ابن المقفّع" فهذا يجعلنا نقول أنّ مكانها هو العراق(البصرة)، باعتبار الفترة الزمنية التي عاشها "ابن المقفّع" في هذه البقاع، وباعتبار أنّ ترجمتها تمت في هذا المكان كذلك وهي موجهة أصلا إلى فئة الحكام والملوك المتسلطين والمتجبرين المنتشرين في العصر العباسي وهو عصر ابن المقفّع، هذا فيما يخص الفضاء الخارجي لحكايات "كليلة ودمنة".

أما بالنسبة للفضاء الداخلي ، فإنّنا نجد المكان في قصص "كليلة ودمنة" في تشكل وتنوع مستمرين بحيث نجد في بعض الأحيان تحديدا دقيقا نسبيا للأمكنة، وفي الأحيان

الأخرى نجد اللاّتحديد، لبعض من الأمكنة الأخرى مما ينتج لنا بعض الغموض بالنسبة لمختلف الفضاءات التي جرت فيها أحداث هذه القصص، فمثلا في مثل "الرجل الصابر على اللص"من باب عرض الكتاب لـ"ابن المقفّع" حيث يقول: **« كان مثله كالرجل الذي زعموا أن سارقا تسور عليه وهو نائم في منزله»**[1].

نلاحظ أنّ كلمة منزله لا تكفي كمحدد إشاري مكاني، يمكن القارئ التحديد الواضح للمكان الذي تُجرى فيه أحداث هذه القصة. كذلك في قوله **: « يقال إنه كان رجل تاجر وكان له شريك، وإستأجر حانوتا، وجعلا متاعهما فيه، وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت[...] »**[(2)]، فرغم أنّ "ابن المقفّع" ذكر أنّ الحانوت هو مكان أحداث هذه القصة وذكر قرب منزل أحدهما من الحانوت إلاّ أن هذا لم يجعل القصة واضحة ملامح المكان، حيث يبقى المنزل والحانوت من الأماكن الغامضة المعالم.

وهكذا بالنسبة لباقي قصص"كليلة ودمنة" التي تتميّز بنسبية كبيرة في تحديد الأماكن حيث تتراوح أحداث هذه القصص في أنها حدثت في (بعض الخلج - أو في مفازة فيها خوف من السباع- أو في أجمة أو في وكر في شجرة على جبل أو في أرض كثيرة المياه والعشب أو في غدير أو في ساحل بحر أو بأرض، أو في بعض مدن أو في مدينة-أو في أرض من أرض الفيلة - أو في بيت أو في جحر لسنور أو في جحر لجرز أو في رأس نخلة طويلة...).

والملاحظ أنّ هذه الأماكن توصف بعموميتها وعدم الدقة، حيث اكتفى "ابن المقفّع" بالإشارة العابرة إليها، كما نلاحظ أنّ أغلبية الأماكن المذكورة في الحكايات خاصة بالأماكن التي تتواجد فيها مختلف الحيوانات كالوكر والأجمة والجحر والغابة والشجر، وهذا راجع إلى أنّ الشخوص الموظّفة في الحكايات عبارة عن حيوانات من مختلف الأصناف.

---

1 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، ص59.

2- المصدر نفسه، ص64.

ومن جهة أخرى نجد "ابن المقفّع" في بعض الأحيان يذكر لنا إسم الأماكن التي وقعت فيها الأحداث بأسمائها مثل: **« كان بأرض دستا وند رجل»**[1]

«فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها (ميون)»[2]

« زعموا أنّه كان بأرض "سكاوندجين " عند مدينة" "داهر»[3]

« كان منزلي أول أمري بمدينة (ماروت).»[4]

« زعموا أن ناسكا من النساك كان بأرض جرجان»[5]

وهذه الأماكن المذكورة تبقى غامضة الملامح حيث لم يقم "ابن المقفّع" بتحديد مواقعها، رغم أن أسماءها توحي بأنّها أسماء فارسية هندية، هذا ما يرجح إمكانية وجودها في هذه المنطقة.

ويبقى أمر غياب الأشياء والأماكن المشار إليها في نصوص "كليلة ودمنة" وعدم التّحديد الدقيق للأماكن يؤكد صفة الإبهامية لهذه العناصر ولعلّ الأمر يعود إلى نسبية تحديد الزمان الذي تؤكده لفظة "زعموا" التي أُبتدأت بها تقريبا كل حكايات "كليلة ودمنة"، هذا الذي يجعل من العنصر المكاني كذلك نسبيا، أضف إلى ذلك الوصف السريع لهذه الأماكن والأحداث الذي قد يعود لعنصر المثل المستهدف من ابن المقفّع.

ومن خلال ما مرّ علينا في هذا الفصل انطلاقا من تحليلنا للعنوان كعتبة أولى اقتحمنا من خلاله عوالم النص الذي يفرضه السياق ومن تحليلنا كذلك لوضعية المشاركين في خطاب "كليلة ودمنة" فـ-"ابن المقفّع" كمرسل ضمني ومتلقي العصر العباسي كمتلق ضمنيّ وضع درجاته وصفاته "ابن المقفّع" سلفا ثم "دبلشيم" الملك متلقٍ مباشر والفيلسوف

1 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة(باب الأسد والثور)،** ص 68.

2- المصدر نفسه، **الباب نفسه**، ص69.

3- المصدر نفسه، **(باب الحمامة المطوقة)،** ص128

4 - المصدر نفسه، **الباب نفسه**، ص132

5 - المصدر نفسه، **(باب الناسك وابن عرس)،** ص168

"بيدبا" كمرسل مباشر كذلك، وصولا إلى دراسة الزمان والمكان، هاته الأقطاب التي مكّنتنا من وضع خطاب "كليلة ودمنة" في إطاره السياقي العام.

فإنّ كل هذا مكّننا في الفصل الأول من وضع عناصر السياق الخارجيّ المتمثّلة في المخاطب والمتلقي والزمان والمكان الذي أنشأ فيه خطابات كليلة ودمنة، والسياق الآن يفرض علينا أن نبيّن الاستراتيجيات العامة التي تتحكّم في العلاقة الموجودة بين المشاركين والمخاطبين في نصوص"كليلة ودمنة"، سواء بين "ابن المقفّع" كمخاطب ضمني في متلقيه الضمنيين كذلك، أو بين الفيلسوف كمشارك ظاهر مع الملك كمشارك آخر ظاهر، بما أنّ السياق هو دليل المرسل في اختيار استراتيجياته الخطابيّة.

وإذا تناولنا في الفصل الأول، السياق الخارجي العام، الذي أنشأ فيه خطابات "كليلة ودمنة"، فحري بنا أن نتطرق في الفصل الموالي إلى دراسة السياق من خلال القوانين العامّة التي تتحكّم في العلاقات التّخاطبية بين المشاركين والعمليّة التّواصلية كيف تمت.

الفصل الثاني

العملية التّواصلية وإستراتيجية التّحاور

تمهيد

1- سياق الإستراتيجية التّلميحية

2 - بلاغة الإمتاع والإقناع

تمهيد :

تعرضنا في الفصل الأول لدراسة السياق من الخارج، بحيث أدرجنا ضمن هذه الدراسة، تحليلا للعنوان كعتبة سياقية، ثم درسنا المتخاطبين وما يدور حولهما من سياق زمكاني، وفي هذا الفصل الثاني، سيكون حري بنا أن نتعرض للسياق من اتجاه آخر وهو الاتجاه الداخلي، الذي يتمظهر من خلال الاستراتيجيات الخطابية المختلفة التي اعتمدها "ابن المقفّع " في نصوص " كليلة ودمنة " .

فعادة ما يختار المرسل الاستراتجيات والآليات التي يوظّفها في خطابه، انطلاقا من معايير مختلفة تتحكم في هذه العملية، ولعل أولى هذه المعايير هي مراعاة المرسل أو المخاطب لمعالم السياق، حيث لا يمكنه إنتاج خطاب معين إلاّ بمراعاة المعايير التي يتوفر عليها السياق، وهي العناصر السياقية التواصلية التي تتوفر بين المرسل والمتلقي، وبينهما وبين الظروف المحيطة بالخطاب .

وعليه فإن افتراض المرسل دائما لمتلقية، ووضعه نصب عينيه، أوجب عليه أن ينظّم خطابه، وفق ما يقتضيه المرسل إليه، وهذا تفرضه عليه العملية التواصلية التفاعلية بينهما، ومنه فإن **« كل عمل من التواصل الكلامي يراعي متكلما يرسل خطابا أو مرسلة في اتجاه مخاطب أو متلق، قد يكون حاضرا، وقد يكون غائبا»**[1] .

إن علاقة المرسل بالمرسل إليه، تجعل الأول ينظم خطابه، وفق آليات يستعملها فيه ، فهذه العلاقة هي التي تلزم عليه أن يستعمل آلية الحجاج، أو الحوار، أو الاستدلال في خطابه وهي التي تفرض عليه الاختيار ما بين استعمال الشكل المباشر في خطابه، أو يلجأ إلى التلميح وبهذا فإنّه من البديهي أن نستنتج أنواعا من المسلمات البديهية التي يفرضها السياق في الخطاب من مثل :

- مسلمة الحوارية، التي تقر على أنّه لا وجود لكلام مفيد إلاّ بين اثنين، لكل منهما مقام معين، مقام المتحدث ومقام المستمع.

1- عبد الجليل مرتاض : اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي و الكتابي)، دار هومة، الجزائر 2003، ص 41 .

- المسلمة التي تقول إنّ علامة الخطاب الرئيسية هي اللغة الطبيعية.
- أنّ إنتاج الخطاب يكون بقصد ما، ولهدف معين يسعى المرسل إلى تحقيقه.
- إنّ الدلالة المباشرة هي دلالة الخطاب الرئيسية على قصد المرسل.

وبهذا فإنّه بإمكان المرسل، الاعتماد على استراتيجيات مختلفة ومتنوعة في خطابه، إلاّ أنّ القيد الوحيد الذي يراعيه هو السياق بكل عناصره.[1]

1 - سياق الاستراتيجية التلميحية :

لقد اعتمد " ابن المقفّع " على استراتيجية غير مباشرة، في كيفية تعبيره عن مقاصده، وذلك حسب ما اقتضاه السياق الذي أنشأت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، ويمكن أن نطلق على هذه الاستراتيجية اسم "**الاستراتيجية التلميحية**" ، وتتمظهر هذه الاستراتيجية في ما أسماه "قرايس Grice " (2) "بمبادئ المحادثة " principles conversationnels"، أو ما أسماه" دوكرو ducrot" بـ قوانين الخطاب " lois du discours " وهي قوانين توجه العملية التّواصلية بين الأشخاص، عن طريق تحديدها للأدوار التي يحتلها كل واحد من هؤلاء، كما تساهم في إبراز البعد التبادلي الحواري للخطاب، لهذا عرّفها "مانقونو Maingueneau" على أنّها «**القواعد التي تتغير بتغير الثقافات، والتي يفرض كل مشارك أن الأخر يحترمها عندما يلعبون لعبة " التبادل اللغوي " l'échange verbal "** » (3).

وعليه فالاستراتيجية التلميحية البارزة في قصص "كليلة ودمنة" والتي اعتمدها "ابن المقفّع" للتعبير عن مقاصده، هي عبارة عن آليات تساعد المخاطب على أن ينجز بها أكثر مما يقوله، إذا يتجاوز قصده المعنى الحرفي لخطابه، وذلك بالارتكاز على أنواع السياقات المختلفة .

1 - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 87.

2-Voir : catherine Kerbrat – orecchioni : L'implicite (linguistique), Armand colin , paris 1986 , P194.

3 -D.Maingueneau, les termes clés de l'analyse du discours , P54.

1- سياق المشاركة coopération: :

يتمظهر سياق المشاركة (التعاون) في قصص "كليلة ودمنة" في كيفية صياغة "ابن المقفّع" لهذه الحكايات، بحيث أنّه أقر مسبقا بسياق المشاركة، إذ وضع سلفا أنواع المتلقين الذين وجهت لهم هذه القصص - كما أشرنا إلى هذا مسبقا في الفصل الأول في عنصر درجات التلقي عند ابن المقفّع - هؤلاء المتلقون الذين أرادهم "ابن المقفّع" مشاركته في خطابه هذا، بمعنى أنّ هذا الإقرار المسبق، هو إقرار ضمني بمبدأ المشاركة، "فابن المقفّع" كمخاطب يشارك مخاطبه الأول وهو المتلقي غير العارف، عن طريق السياق العام الذي صيغت فيه هذه الحكايات، حيث جاءت على لسان الحيوان ليطلبها هذا النوع من المتلقين بهدف اللهو والمتعة .

وبهذا يضمن "ابن المقفّع" فائدة خطابه، كما يضمن استمرار العملية التواصلية، بينه وبين هذه الفئة من المتلقين، ثم إنّ المشاركة التي أرادها لم تقف في هذا الحد، بل اشترط نوعا آخرا من المتلقين، ألا وهم الحكام والملوك وذوي السلطة بشكل عام، فأراد أن تكون قصص "كليلة ودمنة" محمّلة بالنصائح والإرشادات العامة التي يستفيد منها هؤلاء، لاتخاذها كقواعد وأسس يبنون عليها مناهجهم في الحكم والسلطة، وأخيرا وضع "ابن المقفّع" نصب عينيه متلقي مشارك من الدرجة الكبيرة، ألا وهو الفيلسوف الذي بإمكانه الوصول إلى توضيح معاني، الحكم والأمثال التي تزخر بها قصص "كليلة ودمنة" .

إنّ مبدأ المشاركة الذي أراده "ابن المقفّع" أن يكون ضمنيا بتحديده لأنواع المتلقين، نجده كذلك ضمنيا في السياق الحواري الذي جمع بين الملك "دبشليم" والفيلسوف "بيدبا"، وربما هذا ينصب في نوع من الإسقاط، بحيث أسقط "ابن المقفّع" نوع المشاركة التي يريدها مع متلقيه الخارجي، بوضعه للحوار الذي صاغه بين الشخصيات الموظّفة في قصص "كليلة ودمنة"، خاصة الحوار الإطار الذي جمع بين الفيلسوف والحاكم، وعلى هذا الأساس فسياق المشاركة يظهر على مستوى التبادل الكلامي بين هاتين الشخصيتين، حيث يتبادلان المحادثة ويتناوبان في الحوار، وهذا دليل على تفعيل عملية التواصل بينهما، حيث يقوم الحاكم "دبشليم" بسؤال اتلفيلسوف "بيدبا" عن أشياء تخص الملك ورعيته والحاشية التي تحيط به، وكل ما يجري في البلاط، فيقوم الفيلسوف بدوره بالإجابة على هذه الأسئلة، وذلك

بسرده لقصص خرافية، يلجأ من خلالها إلى التلميح أكثر من التصريح حسب ما يقتضيه السياق، وذلك بتوظيفه الكبير لعنصر المثل .

يتمظهر سياق المشاركة في قصص "كليلة ودمنة"، أكثر في التقنية الواضحة، التي اعتمد عليها "ابن المقفّع"، ألا و هي تقنية سؤال جواب، التي فعّلت العملية التحاورية بين الفيلسوف والملك، وبالتالي فعّلت بدورها عملية المشاركة بين "ابن المقفّع ومتلقيه " .

1 – 1 – سياق السؤال و الجواب :

تكمن أهمية السؤال في الخطابات، في خمس نقاط أساسية وهي : [1]

1 – إما لتنبيه السامع على موقعه.
2 – أو لإغنائه أن يسأل.
3 – أو لئلا يسمع منه شيء.
4 – أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه.
5 – أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ.

فنلاحظ أن النقطة الرابعة تتعلق **«بسلطة المتكلم وتنبئه بإمكان إثارة الكلام المقول استفهاما في ذهن السامع، فيبادر على الجواب قبل السؤال لضمان الاستمرار في الكلام »** [2] لهذا نجد "ابن المقفّع" عندما وظّف تقنيتي السؤال والجواب، ضمن تواصل المشاركة بين الفيلسوف والملك من جهة وبينه ومتلقيه من جهة أخرى .

يبادر الملك سؤال الفيلسوف بقوله **: « اضرب لي مثلا [...]»** [3] وهذه الصيغة (صيغة الأمر)، دليل على رغبة الملك في المعرفة، وفي هذه الحالة، ما على الفيلسوف إلاّ الإجابة، والسعي في كيفية إرواء عطش الحاكم في المعرفة، وتقريبا تتواصل نفس العملية في كل كتاب "كليلة ودمنة " فالملك يسأل بصيغة (اضرب لي مثلا – حدّثني – كيف كان ذلك – قد سمعت ...) والفيلسوف يبادره بالإجابة، بضربه للأمثال، وحكايته

1 - محمد خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، ص 115 .
2 - المرجع نفسه ، ص 116 .
3 - ابن المقفع ، كليلة ودمنة (باب الأسد و الثور) ، ص 68 .

لقصص الحيوان، واستعمال مثل هذه الصيغ مقرونة بضمان استمرار العملية التواصلية بين الفيلسوف والحاكم، ويمكننا وضع مخطط لهذه العملية كما يلي :

سؤال

المرسل الحاكم (دبشليم) ← المرسل إليه الفيلسوف (بيدبا)

جواب

المرسل إليه الحاكم (دبشليم) ← المرسل الفيلسوف (بيدبا)

وبهذه العملية يكون قد تحقق ما أسماه "إميل بنفنيست" بالجهاز الصوري لعملية التلفظ حيث تحققت العملية التفاعلية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه، وذلك عن طريق التناوب الذي **«يعد أساسيا للمحادثات بوصفه إنتاجا لعمليات موسعة تفاعليا »** [1] وهذا التناوب لا يكون إلاّ عن طريق الحوار الذي عرّفه "ابن المنظور" في مادة "حور" : **« كلّمته فما رجع إلي حوارا وحِوارا ومحاورة وحويرا، ومحورة، بضم الحاء، بوزن مشورة أي جوابا [...] وهم يتحاورون أي يتراجعون، الكلام والمحاورة، ومراجعة المنطق والكلام في المخاطبة »** [2].

ومعنى هذا أن الحوار عنصر أساسي في عملية التواصل، فهو يفترض قطبين في هذه العملية، كما يفترض نوعا من الحيوية بينهما، والحوار الذي ووظّفه "ابن المقفّع"، بين الفيلسوف والحاكم، يعتمد أساسا على عنصري السؤال والجواب، اللذان يضمنان مبدأ المشاركة أو التعاون، بينهما باعتبارهما قطبي الخطاب.

1- ڤولفجانج هاينه مان / ديتر فيهڤجر : مدخل إلى علم لغة النص، تر : سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر 2004، ص 221

2 - ابن منظور، لسان العرب، ص 218.

وعليه يكون شكل هذه العملية التواصلية التي توضح لنا مبدأ المشاركة بين الفيلسوف "بيدبا" والحاكم "ديشليم"، بالاعتماد على تقنيتي السؤال والجواب، وذلك بتوظيف صيغ تضمن استمرارية عملية المحاورة، بينهما:

في بداية الحوار يطلب الملك من الفيلسوف أن يضرب له مثلا بهذه الصيغة: **«اضرب في مثلا لمتحابين قطع بينهما الكذوب و المحتال[...]»** [1].

يجيب الفيلسوف (بيديا) مباشرة: **«إذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال، لم يلبث أن يتقاطعا ويتدابرا، وآفة المودة النميمة [....] ومن أمثال ذلك: أنه كان بأرض دستاون[...] »** [2]**،** ليواصل في ضربة للأمثال،حتى ينهي حديثه بحكمة تجمّل المعنى المقصود، ثم يبادره الملك "دبشليم"، مرة أخرى بسؤال آخر بصيغة أخرى: **«قد سمعت مثل المتحابين[...] فحدثني، إن رأيت عن إخوان الصفا[...]»** [3]، يجيب الفيلسوف: **«إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئا[...] ومن أمثال ذلك، مثل الحمامة المطوقة.»** [4]

الملك "دبشليم"**:« وكيف كان ذلك.»** [5]
قال "بيديا": **«زعموا أنه كان بأرض سكاوندجين [...]»** [6]

وهكذا دواليك،فالملك"دبشليم" يسأل بصيغة (قد سمعت-فاضرب في مثل –فحدّثني – أخبرني-كيف كان ذلك...) والفيلسوف يجيب بـ (زعموا-ومثل ذلك...).

2-**سياق الإفادة والإخبارية**: (pertinence- informativité) :

يتعلق سياق الإفادة، عند "ابن المقفّع" في حرصه على أن يبلغ كتاب "كليلة ودمنة" الغاية الكبرى في إفادة المتلقي، لهذا نجد تحكيم هذا السياق مسبقا في مختلف الخطابات، عبارة عن استراتيجية مهمة، تضمن الاستفادة الكلية للملتقي من أنواع الخطابات التي تلقى عليه،حيث يجبر هذا المبدأ المرسل على تنظيم خطابه في الحدود التي يستفيد منها المرسل إليه.

1- 2 - ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الأسد والثور)، ص68.
3-4-5-6- المصدر نفسه، (باب الحمامة المطوقة)، ص128.

يتضح لنا سياق الإفادة في خطابات "كليلة ودمنة"، على مستوى مختلف المواضيع،التي صاغها "ابن المقفّع" والتي وجهها إلى مختلف طبقات المخاطبين في الكتاب،فخاض في موضوع ضرورة تهذيب النفس، وذكر ما ينبغي على الإنسان أن يراعيه من الواجبات، في سلوكاته المختلفة في المجتمع الذي يعيش فيه. ويبيّن له الخصال التي تليق به حسب مكانته في المجتمع، ثم نظر في سيرة الملوك وإلى ما يجب عليهم أن يتحلوا به من خصال وأخلاق، وركّز على هذا الموضوع، حتّى أنّ كتاب "كليلة ودمنة"، يعبّر بصدق عن الحياة العامة في بلاط الملوك، وعن كل الدسائس والمكائد التي تجري فيها، فجاء مجموعة من الحكم الموّجهة لهؤلاء الملوك، وعلاقاتهم بحاشيتهم ووزرائهم وكلّ ما يحيط بهم من أشخاص.

لقد زخرت تقريبا كل مؤلفات "ابن المقفّع" بمثل هذه المواضيع، حيث نجده يلح إلحاحا كبيرا على تبيين كيفية إقامة العلاقات بين أفراد المجتمع انطلاقا، من علاقة الراعي بالرّعية، وعلاقة الرعية ببعضهم البعض، وبيّن لهم الأسس والقواعد التي يبنون عليها مثل هذه العلاقات، المواضيع نفسها نجدها مبثوثة بالإضافة إلى كتاب"كليلة ودمنة"، في ثنايا باقي مؤلفات "ابن المقفّع" (الأدب الصغير-الأدب الكبير-يتيمة السلطان-يتيمة ثانية-رسالة الصحابة-رسالة الأدب الوجيز للولد الصغير...) هذه المؤلفات التي صيغت فيها عدة مواضيع، أراد منها "ابن المقفّع" إفادة المتلقي بها.

إن الاستراتيجية الواضحة، التي اعتمد عليها"ابن المقفّع" في كتاب "كليلة ودمنة" من أجل إفادته المتلقي إفادة كبيرة،تكمن في الحوار الإطار الذي جمع بين شخصيتي الملك"ديشليم" والفيلسوف "بيديا"، والحوار كما حددته لنا "أوركيوني"، يعتبر من بين الأنماط الأساسية، التي يتجلى من خلالها قانون الإفادة، بالإضافة إلى الحجاج والانتباه، وربط الخطاب بسياق المحادثة. ففي الحوار القائم بين الفيلسوف والملك، نلاحظ أن الفائدة الكبرى تكون للملك، باعتبار أن الفيلسوف هو الذي يتحدث كثيرا، ويقتصر كلام الملك على السؤال فقط.

يبادر "دبشليم الملك"، الفيلسوف "بيديا" بسؤال **«اضرب لي مثلا»**، ومعنى هذا أن الملك يريد معرفة أمر معين بالاعتماد على معارف الفيلسوف، ويمكننا إعادة صياغة هذا

السؤال « **أفدني بمعلومات حول موضوع كذا** »، فيبادره الفيلسوف مباشرة بسرده لقصص حول مواضيع مختلفة أيضا، كل قصة تضمّن قصة أخرى، وكل مثل يضمّن مثلا أخر.

وما استراتيجية التضمين هذه التي استعملها "ابن المقفّع" على لسان الفيلسوف "بيديا"، إلاّ دليل على سعيه لضمان الإفادة الكبرى للمتلقي، فكما أقر كل من"سبربر وويلسون Sperber et Wilson فإن «**باقي الأحكام تنضوي تحت مسلمة الإفادة، وهي الوحيدة التي كانت أكثر دقة و صحة من الأحكام الأخرى.**»[1]، بحيث أنه ما الغاية من توجيه خطاب ما إلى مرسل إليه،بدون أن يكون لهذا فائدة معينة؟ فحتى وإن لم يكن هذا الخطاب، خطابا إخباريا بمعنى أنه يحمل معلومات جديدة للمرسل إليه، فإنّ له فائدة أخرى عوض الفائدة الإخبارية، ألا وهي فائدة إثراء معلومات ومعارف المخاطب.

فمثلا في"باب الأسد والثور" وباب "الفحص عن أمر دمنة" لوحدهما، يحويان واحدا وعشرين مثلا، أولاهما مثل "التاجر وبنيه" وآخرهما مثل "البازيار وامرأة المرزيان" وكلها أمثال ضربها "بيديا" لـ "دبشليم" الملك، من أجل الرد عن سؤال هذا الأخير « **اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء.**»[2] .

فيبدأ الفيلسوف في سرده الأمثال، ويحكي له بذلك قصة "كليلة ودمنة"، ليمثل بدمنة شخصية الكذوب المحتال، وكيف سعى إلى التفرقة بين الأسد وصديقه الثور وكيف كان مصيره في الأخير، وينهي كلامه قائلا: «**فمن نظر في هذا فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلابة والمكر، فانه سيجزي على خلابته ومكره.**»[3] لتكون بذلك هذه الإجابة الأخيرة بمثابة حكمة جامعة لما سبق ذكره من أمثال، وجامعة للجواب عن سؤال الملك، وهكذا فإنّ الفيلسوف يحاول أن يرد على سؤال الملك بضربه للأمثال والحكم محاولا بذلك إفادته بأقصى ما يعرفه من هذه الأمثال، وهذا لهدف الإقناع والمحاجة الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالحاكم بحيث أن فائدة هذا الخبر تكمن في توفره على أهداف عملية يقربها السامع كما تكمن فائدته أيضا بشكل عام في مدى مناسبته لمقام الحديث.

---

1 - C.K Orecckioni, l’implicite, P199.

2- ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الأسد والثور)، ص68.

3- المصدر نفسه ،(باب الفحص عن أمر دمنة)، ص127.

وفي بعض الأحيان نجد الخبر غير مفيد إلا أنه يستمد قوة إفادته **«إن هو موضوع لاستنباط قول مضمر sous – entendu من طرف المتلفظ المشاركcoénonciateur »**[1]

وعلى هذا الأساس، فإن حكايات "كليلة ودمنة"، تستمد قوة إفادتها من مدى تأويلها وفهمها من طرف الملك "دبشليم" تأويلا وفهما صحيحا.

فما إن ينهي "بيديا" الحديث ردا على سؤاله إلا ويبادره الملك بسؤال آخر **« قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب والى ما صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني إن رأيت عن إخوان الصفا، كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض»**[2] ليبادره الفيلسوف بالإجابة مباشرة، وهكذا دواليك في باقي الأبواب، فلو لم يستفد الملك من سياق حديث الفيلسوف لما طلب منه المزيد، وحتى وان كانت صيغة سؤال الملك بـ(قد سمعت – فحدثني...) التي تحتمل أن الملك كان على درايته بالخبر المسرود عليه، إلا أن أهمية الأمثال التي ساقها إليه الفيلسوف لا تكمن في مدى اخباريتها بقدر ما تكمن في مدى فائدتها الحجاجية وهذا على أساس أن **«المشروعية الخطابية لقول ما، تقاس أساسا بمدى فائدته وليس بقدرته على الإخبار»** [3].

أما بالنسبة لعنصر الإخبار، فلا شك أنّه يرتبط بعنصر الإفادة، إذ يعتبر من بين قوانين الخطاب الأكثر خصوصية، بحيث أنّه يصنّف ضمن أهم الدعائم التي تنبني عليها مختلف مقاصد وأغراض التخاطب، ويتمثل في رغبة المتحدث في تجسيد أفكاره واعتقاداته، وعرض معارفه على المخاطب بطرق مختلفة، وعليه فإنّه يسعى دائما إلى إعطاء عدد من المعلومات الشاملة واللازمة، وهذا معناه أنّه في حالة المحادثة أو التخاطب، بين مرسلٍ ومتلق لا يجب أن تتم عملية التواصل بينهما على أساس الثرثرة، بل من **«المفترض أننا لا نتلفظ بشيء يعرفه قبلا المتلقي للحديث»**[4] لهذا وجب على المخاطب أن يزوّده مخاطبه بمعارف من المفروض أنّه لم يسبق له معرفتها، يقول

1- Dominique Maingueneau, les termes clés de l'analyse du discours, P 61.

2- ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الحمامة المطوقة)، ص128.

3- C.K Orecchioni, l'implicite, P200.

4 - Ibid, p 207.

"ديكرو": **«على المخاطب تقديم المعلومات اللازمة والتي يمتلكها عن موضوع الخطاب وغرضها إفادة المخاطب»**[1].

ويذهب "الآمدي" في كتابه "الأحكام في أصول الأحكام" نفس المذهب فيقول: **«وأما ما يرجع إلى المستمعين، فأن يكون المستمع متأهلا العلم بما أُخبر به، غير عالم به قبل ذلك، وإلاّ كان فيه تحصيل حاصل»**[2] وهذا معناه أنّ فائدة الخبر تكمن في وجود مستمع أو متلقٍ مثالي مستعد لاستقبال الرسالة الإبلاغيّة، ويكون هذا المتلقي خالي الذهن من فحوى هذه الرسالة.

إن قانون الإخبارية، كما تذهب إلى ذلك "أوركيوني": **«ينطبق على كل أشكال الأفعال الكلامية، مثل التقرير، الاستفهام (شرط أن يكون الجواب واضحا)، الأمر والنصيحة (يكون الفعل المأمورية فعل الأمر أو النصيحة متحققين مباشرة بعد التلفظ بهم»**[3].

يخضع تحقيق مبدأ الإخبار في كتاب "كليلة ودمنة" إلى قدرة "ابن المقفّع" المعرفية، وقدرته الاقناعية في سرد أخبار حكايات الحيوان، بحيث يسعى من خلالها لا إلى وصف الواقع أو قول شيء عن حالة الكون، وإنّما يسعى من خلالها إلى تغيير هذا الواقع، ويسقط "ابن المقفّع" هذه القدرة الإخبارية على الفيلسوف "بيدبا" بحيث أنّه الوحيد الذي يتوفر على هذه الملكة من ضربه للأمثال والحكم.

فالحوار الذي جرى بين الفيلسوف كمخبر والملك كمخبر له، دليل على الإفادة الخبرية لحكايات "كليلة ودمنة" بحيث إنّه عادة ما يسأل الملك "دبشليم" بصيغة "أخبرني" التي تدل على فراغ ذهن الملك من الشيء الذي يريد معرفته من طرف الفيلسوف، إلا أنّه في بعض الحالات يغير الصيغة بقوله: "قد فهمت، قد سمعت" وكل من الفعلان "فهم وسمع" يحمل في طياته مقصدا يختلف عن الآخر وسوف يفهمان من خلال السياق الذي صيغت فيها.

1- O Ducrot: dire et ne pas dire, 2ème édition, Harman, paris 1980, p204.

2- الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ج25، ص 25.

3 - C K orecchioni, l'implicite, p 208.

"ففهم الملك" معناه أن الأمر الذي أخبره به الفيلسوف لم يكن معروفا لديه، بل كان غامضا أو مجهولا، ومعنى هذا أن الفيلسوف أفاد "الملك بالخبر كونه غير مطّلع عليه، أما "سمع الملك" فتعني أنّه لم يجهل الخبر جهلا تاما، إنّما أراد فقط توضيحا أو زيادة في الإفادة من الخبر من طرف الفيلسوف، كما أنّه تتغير الصيغة في كل باب، ففي السياق الأول يسأل بصيغة "أخبرني"، بمعنى أنقل لي خبرا أنا لا أعرفه، وفي سياق آخر بصيغة "حدّثني" وهذا لطلب مزيد من المعلومات أو المعرفة، وفي بعض السياقات الأخرى يستعمل صيغة "اضرب لي مثلا"، وهو فعل إنجازي أمري غرضه طلب المزيد من الحكم والأمثال في الأمور التي يسأل عنها، والملاحظ أيضا، أنّ الملك عندما يسأل الفيلسوف في أمر ما ثم يبدأ الفيلسوف في سرد هذا الأمر بافتتاحية حكمية، يبادره الملك مباشرة بعد هذه الافتتاحية بسؤال على صيغة "وكيف كان ذلك" وسياق هذه المحاورة يدلنا على مدى فضول الملك على معرفة المزيد من الأخبار.

تعتبر تقنية سؤال جواب في الحوار الذي دار بين الملك "دبشليم" والفيلسوف "بيدبا"، استراتيجية خاصة، اعتمدها "ابن المقفّع" من أجل توليد عدد كبير من المعارف لزيادة الفائدة في الخبر لأجل المتلقي، لهذا جاء هذا الكم من الحكايات على شكل سيرورة دلالية، بحيث تقوم كل حكاية بتضمين عدد من الحكايات الأخرى في مجالها، وكل حكاية تحكي عن مثل في مجال معين، لتكون بذلك كل الملفوظات التي وردت في "كليلة ودمنة" محمّلة بالمعاني، وليست فارغة من حيث المعلومات والمعارف.

3- سياق الصدق Sincérité :

يتمظهر سياق الصدق في قصص كليلة ودمنة، في تعلقه بتصور "ابن المقفّع" للواقع، بمعنى أن صدق أو كذب الحكايات الواردة في هذا المؤلف مرهون بتصور واعتقاد المؤلف، وهو وإن أوردها حكايات على لسان الحيوان، فهو يقصد بها أشياء كثيرة بحيث أن هذه الحكايات مرهونة بالسياق الذي وردت فيه، كما أنها لا تفهم كما تقرأ، بل تفهم بالتأويل وإعمال الروية في قراءتها.

تندرج قصص "كليلة ودمنة" ضمن الخطاب التّخييلي الخرافي، كما أسماه "سيرل" هذا ما يجعلها تحتمل الصدق أو الكذب، وهي من بين الأعمال التخييلية الخرافية، التي عادة ما تستهل بعبارة **« كان يا مكان-كان في قديم الزمان[...] Il était une fois »**[1] فابتداء حكايات "كليلة ودمنة" بصيغة "زعموا" و"قيل" المبنية للمجهول، تثبت صدق أو كذب هذه الحكايات، المستقاة على شكل أمثال، إلا أن صدق أو كذب هذه الأمثال التي ضربها "ابن المقفّع" على لسان الحيوان، والتي عرضها الفيلسوف "بيديا" بدوره على الملك "دبشليم"، تبقى مرهونة باعتقادات "ابن المقفّع" ، ثم باعتقادات الفيلسوف، بصفته الشخصية الرئيسية التي صاغ من خلالها "ابن المقفّع" أفكاره الفلسفية، وبصفته أيضا المحاور الأساسي الذي **« يعتقد القضايا الضرورية والبديهية والمسلم بها فضلا عن كونه يعتقد الرأي الذي يعرضه على الغير ويعتقد صحة هذا الاعتقاد وما يلزم عنه وصحة الدليل الذي يقيمه على رأيه. »**[2]

لقد اقترح "طه عبد الرحمان" نموذجا لقانون الصدق، استقاه من التراث الإسلامي العربي، أسماه بـ "مبدأ التصديق" حيث صاغ له قاعدة عامة صيغتها **« لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك »**[3]كما فرّع أيضا من هذا القانون نوعين من القواعد، قواعد التواصل وقواعد التعامل وقد استخرج هذه القواعد من كتاب "أدب الدنيا والدين" "للماوردي".

فقاعدة التواصل تشتمل على قواعد مضبوطة تتلخص فيما يلي: [4]

- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.
- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.
- يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.

1 -Anne Reboul- Jacques Mouschler : la pragmatique aujourd'hui (une nouvelle science de la communication), seuil, Paris 1998, P 34.

2 - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000، ص38.

3 - طه عبد الرحمان:اللسان والميزان، ص249.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما قواعد التعامل فتتلخص فيما يلي:

- **قاعدة القصد:** وصيغتها لتتفقد قصدك في كل قول تلقى به إلى الغير.
- **قاعدة الصدق:** وصيغتها لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك.
- **قاعدة الإخلاص:** وصيغتها لتكن في توددك للغير متجردا عن أغراضك.

فالملاحظ على مبدأ التصديق، الذي صاغه وأورده "طه عبد الرحمان" أنّه مبدأ شامل، يعنى بالمستوى التّبليغي والمستوى التهذيبي، في العملية التواصلية، حيث تشترط قواعده الأساسية على المخاطب أن يكون عارفا للمقاصد التي يريد إيصالها للمتلقي. وأن يكون مخلصا فيها، وأن يكون صادقا فيما ينقله إلى غيره، حتّى وإن كان هذا الصدق انطلاقا من اعتقاداته الخاصة، بغض النظر عن تحققها في الواقع، بمعنى أن تكون هذه الاعتقادات حقيقية أم كاذبة.

يكمن صدق "ابن المقفّع" في كيفية سرده لقصص "كليلة ودمنة"، على أنّه جعلها مسندة إلى فاعل مجهول بابتدائه كل حكاية بكلمة "زعموا" التي تدل على أن الكلام الذي سيليها منسوب إلى شخص مجهول، وبحكم كذلك أنّه بصدد سرده قصص خرافية على لسان الحيوان، وهذا طبعا يفسره لنا إرادة "ابن المقفّع" في الاختباء وراء هذه القصص، وبالتالي تهربه وتملصه من نسبة الخطاب إليه، وهذا راجع إلى السياق التاريخي الذي يشرح لنا هذا التهرب من تحمل مسؤولية إنتاجه لخطابه هذا.

يبادر الملك "دبشليم" الفيلسوف "بيدبا" بسؤال في كل باب من أبواب "كليلة ودمنة" **«قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة، فإذا ظفر بها أضاعها؟»**[1]

«قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل رجل كثُر أعداؤه، وأحدقوا به من كل جانب، فأشرف معهم على الهلاك، فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحتهم، فسلِم من الخوف وأمِن، ثم وفى لمن صالحه منهم، وأخبرني عن موضع الصلح وكيف ينبغي أن يكون؟»[2].

1 - ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب القرد والغيلم)، ص 162.

2 - المرجع نفسه (باب الجرذ والسنور)، ص 171.

«قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثلا في الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه، ويحفظ ملكه، ويثبت بها سلطانه، ويكون ذلك رأس أمره وملاكه: الحِلم، أم المروءة، أم الشجاعة، أم الجود...؟ »[1]

ليكون جواب الفيلسوف على هذه الأسئلة، عبارة عن سلسلة من الحكايات الخرافية المتداخلة والمتوالدة والمشّبعة بالأمثال المختتمة في كل باب، بحكمة تجمّل قول الفيلسوف.

يقول الفيلسوف: «**والناس أحقّ بحسن النظر في ذلك لأنّه قد قيل: ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك، فإن في ذلك العدل، وفي العدل رضى الله تعالى ورضى النّاس**»[2].

ويقول أيضا: «**اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا: المجتهد في البر كلّ يوم والذي لم يأثم أبدا**»[3].

«**اثنان هما الفرحان: البصير والعالِم: فكما أن البصير يبصر أمور العالم، ما فيه من الزيادة والنقصان والبعيد والقريب، فكذلك العالِم يبصر البر والإثم [...]**»[4].

«**أربعة أشياء أصفار: النهر الذي ليس فيه ماء، والأرض التي ليس فيها ملِك، والمرأة التي ليس لها بعلٌ، والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشر**».[5]

«**فهذا مثل أهل العداوة الذي لا ينبغي أن يعتّز بهم وإن هم أظهروا توددا وتضرعا**».[6]

«**وكان يقال: لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثّناء، ولا الخب في حسن الصديق، ولا السّيء الآداب في الشّرف، ولا الشحيح في البر، ولا الحريص في قلة**

---

[1] - ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب إيلاذ وإيراخت)، ص 192.

[2] - المصدر نفسه (باب الإسوار واللبوءة والشعهر)، ص 191.

[3] - المصدر نفسه (باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت)، ص 200.

[4] - المصدر نفسه، الباب نفسه، ص 201.

[5] - المصدر نفسه، الباب نفسه، الصفحة نفسها.

[6] - المصدر نفسه(باب البوم والغربان)، ص 161.

الذنوب، ولا الملك المختال، المتهاون بالأمور، الضعيف الوزراء، في ثبات ملكه وصلاح رعيته».[1]

فهذه جملة من الأمثال والحكم والأقوال المأثورة، التي يكمن صدقها في معناها ومغزاها، ونحن نعلم مدى تأثير هذه الأقوال على المتلقين، الذين يؤمنون بها، وبذلك تأخذ مصداقيتها لكونها أقوال متّفق عليها.

وانطلاقا مما سبق فإنّ "ابن المقفّع" وإن استعمل عنصر المثل على لسان الحيوان فقصده ليس تمويه المتلقي على فهم هذه الحكايات كما هي وتصديق ما قيل فيها، بل هي تقنية فضّل من خلالها التّلميح عوض التّصريح وهذا مراعاةً للسياق المقامي الذي صيغت فيه هذه الحكايات، كما ذكر ذلك "سيرل" في قوله: **«أن المتكلم في القول التّخييلي يدعي الإخبار، وهو يقصد ادعاء القيام بإخبار، ولكنّه لا يقصد مغالطة مخاطبه»**[2] أضف إلى هذا مراعاة الأوضاع والفترة التاريخيّة التي عاش فيهما "ابن المقفّع"، فما كان عليه أن يبّلغ ما لا يعتقده وهو القائل في كتابه(**الأدب الكبير**) في الصدق وصحة الخبر: **«فإن استطعت ألاّ تخبر بشيء إلاّ وأنت به مصدق وألاّ يكون تصديقك إلاّ ببرهان فإفعل، ولا تقل كما يقول السفهاء: أخبر بما سمعت. »**[3]

كما أنّ "ابن المقفّع" وظّف عنصر المثل التّخييلي على لسان الحيوان، لهدف مزج أساليب الإقناع، بأساليب الإمتاع بحيث تكون باجتماعها **«أقدر على التّأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنّه يراها رأي العين»**[4] .

وبهذا فإنّ الصدق الذي نتوخّاه في قصص "كليلة ودمنة" مرهون بنّية ومقصديّة "ابن المقفّع" ويحدده لنا كذلك السياق المقامي العام الذي وردت فيه هذه القصص.

1- المصدر نفسه ، الباب نفسه، ص 158.

2 - A.Reboul, J, Moechler, **la pragmatique aujourd'hui**, P33.

3 - د.عبد الأمير شمس الدين: **الفكر التربوي عند ابن المقفع – الجاحظ- عبد الحميد الكاتب**، ص173.

4 - طه عبد الرحمان، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، ص38.

4- سياق الشّمول "Exhaustivité":

يقضي الشمول على المخاطب، أن يعطي المعلومات الأكثر التي في حوزته من أجل أن يستفيد منها المخاطَب، وهذا القانون عادة ما يأتي لتغطية قانون الإخبارية عندما تكون المساهمة ضعيفة من حيث المعلومات وعليه فإنّ الشمول يتلخّص في أن يكون الخطاب الذي يتوجّه به المخاطب للمخاطب يحتوي على قدر كبير من المعلومات، بحيث تقوم بتأطير الخطاب من كل الجهات، ليكون بذلك شاملا وكاملا.

وعلى هذا الأساس أقرّ **غرايس** على إفادة قانوني الخطاب:

1- **الإخبارية:** إنّ أي ملفوظ لا يجب أن يكون فارغا من حيث المعلومات.

2- **الشّمولية:** حيث أنّ هذا القانون، يقرّ على أنّ المخاطب يعطي حول الموضوع الذي يتحدّث عنه، المعلومات الأكثر التي يمتلكها.

يتلخّص سياق الشمول في "**كليلة ودمنة**" في عدد الأبواب والأمثال والحكايات التي ساقها "ابن المقفّع"، كل باب يختص في شرح وتبيين أمر، كباب "الأسد والثور" وباب "الفحص عن أمر دمنة" اللذين يحكيان على عنصر الصداقة وكيف يفسدها عنصر الخداع والمكر، والأبواب الأخرى التي تدور مواضيعها حول البلاط وما يجري فيه بين الملوك والأمراء والوزراء، وسائر رجال السلطة، وبينهم وبين رعيتهم.

يحاول الفيلسوف "بيدبا" في "كليلة ودمنة" ضرب أكبر عدد ممكن من الأمثال للملك "دبشليم"، لهذا استعمل تقنية التّضمين لكي يكون أكثر إقناعا وأكثر شمولية وإلماما بالمواضيع التي يعني بها، وهذا الأمر طبعا يرتكز أولا على توفّر الفيلسوف على قدر كبير من المعلومات بحكم تجربته وبصفته فيلسوفا.

إلا أنّ تقنية السرد التي اعتمدها "ابن المقفّع" على مستوى الأمثال وتقنية التّضمين كذلك أنتجت لنا نوعا من الخرق، وهو خرق قاعدة الكم، التي تشترط على المتكلّم أن تكون مساهمته في عملية التخاطب تحتوي على قدر كبير من المعلومات المطلوبة، وهذا ليستفيد منها المستمع، وعلى المتكلّم أن يراعي في هذا الحكم شرطين وهما:

- أن تكون إفادته للمخَاطب على قدر حاجته.
- أن لا يجعل إفادته الخبرية تتعدّى القدر المطلوب.

"فابن المقفّع" إذن خرق الشرط الثاني، وهذا بجعله للفيلسوف يمطط في إجابته عن سؤال الملك، وهذا ما يسمى بالإطناب الذي سوف يبينه لنا هذا المخطط المستنتج من "الباب الأول" من كتاب "كليلة ودمنة" ألا وهو "باب الأسد والثور" وهو كما يلي:

"باب الأسد والثور"

أ- الجزء الأول:

السؤال: الملك ⟵ اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال.

الجواب: الفيلسوف ⟵ إذا أُبتلى المتحابان ... وآفة المودة النّميمة.

1- مثل التاجر وبنيه: (الفيلسوف)

ومن أمثال ذلك: أنّه كان بأرض دستاوند رجل ...

↓

1-1- مثل الرجل الهارب من الموت: (الفيلسوف)

كالذي قيل: أنّ رجلا [......]

↓

كليلة: واعلم أنّه من تكلّف من القول والفعل ما ليس من شكله، أصابه ما أصاب القرد من النجار، قال دمنة: وكيف كان ذلك.

1-2-3- مثل القرد والنجار: (كليلة).

زعموا أنّ قردا [......]

حوار بين

كليلة ودمنة

دمنة: وقد قيل [......]

كليلة: خار الله لك فيما عزمت عليه.

ب- الجزء الثاني: (دخول دمنة على الأسد):

حوار بين دمنة والأسد

1- قال دمنة: [......] وقد قالت العلماء: ليس من كل الأصوات تجب الهيبة، قال الأسد: وكيف كان ذلك ؟.

1-1- مثل الثعلب والطبل (دمنة):

قال دمنة: زعموا أنّ [......]

ت- الجزء الثالث: (دمنة يحسد شتربة):

[......] قال كليلة: قد أصابك ما أصاب الناسك.

قال دمنة: وكيف كان ذلك؟

1- مثل الناسك واللّص والثعلب وامرأة الإسكافي: (كليلة):

قال كليلة: زعموا أنّ [......]

↓

قال دمنة: لا تنظر إلى صغري [......] أو لم يبلغك أنّ غرابا ضعيفا احتال لأسود، حتى قتله؟

قال كليلة: وكيف كان ذلك؟

1-2- مثل الغراب والأسود والثعبان وابن أوى (دمنة):

قال دمنة: زعموا أنّ غرابا [......]

↓

قال ابن أوى: [......] وإيّاك أن يكون مثلك مثل العلجوم الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه.

قال الغراب: وكيف كان ذلك؟

1-2-3- مثل المكاء الطائر والسرطان: (ابن أوى):

قال ابن أوى: زعموا أنّ علجوما [......]

↓

قال دمنة: [......] وأنا خليق أن أصرعه كما صرعت الأرنب الأسد.

قال كليلة: وكيف كان ذاك؟

1-2-3-4- مثل الأرنب والأسد:

قال دمنة: زعموا أنّ أسدا [......]

ث- الجزء الرابع: (دمنة يحرض الأسد على الثور):

السارد (الفيلسوف): ثم أنّ دمنة ترك الدخول [......]

دمنة: ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث.

قال الأسد: وكيف كان ذلك؟

1- مثل السمكات الثلاث:

قال دمنة: زعموا أنّ غديرا ...

قال دمنة: [......] ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث.

قال الأسد : وكيف كان ذلك ؟ .

1-2- مثل القملة والبرغوث:

قال دمنة: زعموا أنّ [......]

↓

قال الأسد: سأكون منه على حذر، وإن رأيت منه ما يدل على ما ذكرت علمت أنّ ما في أمره شك.

ج- الجزء الخامس: (دمنة يحرّض الثور على الأسد):

السارد (الفيلسوف بيدبا): فلما فرغ دمنة من تحريض الأسد على الثور [......]

↓

قال شتربة: [......] كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة.

قال دمنة: وكيف كان ذلك؟

1- مثل الذئب والغراب وابن أوى والجمل:

قال الثور شتربة: زعموا أنّ أسدا كان في أجمة [......]

↓

قال دمنة: [......] فإنّ من حقّر عدوه لضعفه، أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوي.

قال شتربة: وكيف كان ذلك؟

1-2- مثل الموكل بالبحر مع الطيطوي (دمنة):

قال دمنة: زعموا أنّ طائرا [......]

قالت الأنثى: أنّ من لم يسمع قول الناصح يصبه ما أصاب السلحفاة حيث لم تسمع قول البطتين.

قال الذكر: وكيف كان ذلك؟

1-2-3- مثل البطتين والسلحفاة:

قالت الأنثى: زعموا أنّ غديرا [......]

ح- الجزء السادس: (الأسد يقتل شتربة وكليلة يؤنب دمنة ويحذره):

[......] قال كليلة: [......] وما عظتي وتأديبي إياك إلا كما قال الرجل للطائر: لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ولا تعالج تأديب ما لا يتأدّب.

قال دمنة: وكيف كان ذلك؟

1- مثل القرود والطائر والرجل:

قال كليلة: زعموا أنّ جماعة [......]

قال كليلة: [......] والخبّ شرهما عاقبة ولهذا مثل.

قال دمنة: وماذا ذاك المثل؟

1-2- مثل الخب والمغفل:

قال كليلة. زعموا أنّ [......]

↓

قال والد الخبّ: إياك أن يكون مثلك مثل العلجوم.

قال الخبّ: وكيف كان ذلك؟

1-2-3- مثل العلجوم والحية:

قال أبوه (الخبّ): زعموا أنّ علجوما جاور حية [......]

↓

قال كليلة: ومثلك مثل التاجر الذي قال: أنّ أرضا تأكل جرذانها مئة من حديد ليس بمستنكر لبزاتها أن تختطف الفيلة.

قال دمنة: وكيف كان ذلك؟

1-2-3-4- مثل التاجر المستودع حديدا:

قال كليلة: زعموا أنّه كان بأرض كذا تاجر [......]

↓

فرضي الأسد بقول دمنة ثم علم بعد ذلك بكذبه وفجوره فقتله شر قتلة.

نستنتج مما سبق درجة الإطناب التي وظّفها "ابن المقفّع" في كتب "كليلة ودمنة" ووظّفها بدوره الفيلسوف للإجابة على سؤال واحد فقط، فقد كان ممكنا أن يعتمد الفيلسوف على مثل أو مثلين فقط، إلاّ أنّه تجاوز ذلك، حتى أنّ القارئ للكتاب- ولكثافة الأمثال الواردة فيه- يكاد ينسى القصة الأولى التي بدأها وهذا لتداخل القصص من جهة ولتداخل الشّخوص المستعملة في كل قصة أو مثل من جهة أخرى، أو ما يمكننا تسميته بتوالد الأمثال. إلاّ أنّ هذا الإطناب يمكن أن يبرره لنا السياق التاريخي العام الذي وردت فيه "قصص كليلة ودمنة" أو بالأحرى الذي تُرجمت فيه، بحيث اعتمد "ابن المقفّع" على الإطناب لمحاولته بإحاطة الموضوع من كل جوانبه وبالتالي تكون إفادته أكثر، أضف إلى ذلك معرفته أنّ متلقيه ليس بمتلق عاد، ونقصد هنا المتلقي النموذجي الذي وضعه في ذهنه مسبقا، هذا المتلقي الذي يفرض عليه نظم خطابه على قواعد وأسس تليق به، بداية من قاعدة التأدّب التي تقضي بعدم التصريح بالمراد قوله مراعاة للملتقى، هذا من جهة ومن جهة مراعاة الفيلسوف لمتلقيه الذي هو ليس متلقيا عاديا، بل هو حاكم متجبّر يحاول الفيلسوف تأديبه بطريقة تليق به أيضا.

مما سبق ذكره، يمكن أن نستنتج بأنّ العملية التواصلية التي اعتمد عليها "ابن المقفّع" تحكّمت فيها قواعد وقوانين تستمدّ قوة فهمها وفك رموزها، مما للمتلقي المخاطب الذي توقّعه "ابن المقفّع" مسبقا من قدرات على التّحليل والاستنتاج والتّأويل، بحيث يقوم بدور فك رموز الملفوظات وهذا ما اَصطلح عليه في البحث التداولي بالقدرة التّداولية compétence pragmatique، الشيء الذي يفضي به بافتراض أفعال تلفظية غير تلك المتوفّرة سطحيا في الخطاب بل تفهم من خلال السياق الذي وردت فيه.

2- سياق المتضمنات في "كليلة ودمنة":

بتصفّحنا لقصص "كليلة ودمنة"، وجدناها حكايات ليس الغاية منها إفهام الآخر، أنّ حيوانا يتحدث إلى حيوان، ولا المقصود بها حمل هذا الآخر على تصديق ذلك، إنما وضع هذا الكتاب على لسان الحيوان، لأغراض أرادها "ابن المقفّع" أن تكون تلميحية، عوض

التّصريح بها، إذ يتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ، معتمدا بذلك على عناصر السياق[1]، بحيث نجده وقف على الكثير من أمراض المجتمع والسياسة المنتشرة في عصره، فاستنكر الكثير من الأمور خاصة تلك التي تجري في بلاط الحكام، حتى أنّه كان يرى بأنّ معظم تلك الأمراض ترجع إلى الملوك والسلاطين، فأراد أن يقف من هؤلاء الحكام موقف الفيلسوف (بيدبا) من ملكه (دبشليم) وعلى هذا الأساس نجد اختيار "ابن المقفّع للاستراتيجية التّلميحية في هذه النصوص لأسباب سياقية مختلفة، منها أن يجعل خطابه في "كليلة ودمنة" بتلك الطريقة لكي تكون أكثر بلاغة وتبليغا*****، ومن جانب آخر نجده وكأنّه يختبئ وراء هذه الاستراتيجية، من أجل اتقاء شرّ حكام وملوك العصر العباسي، ويعدّ هذا من بين أهمّ مسوغات هذه الاستراتيجية بحيث يرغب المرسل في الكثير من الأحيان في التملّص والتهرّب من مسؤولية الخطاب كما يقرّ بذلك كل من "**بروان وليفنسون**"[2]، ما يجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل وبالتالي يتدخّل السياق لكي يفتح المجال للمرسل إليه ليختار ما يريده من التأويلات طبعا بمناسبتها للسياق.

"فابن المقفّع" لا محالة أراد التملّص بدوره من حكام وملوك عصره –خاصة أبا جعفر المنصور- وغيره ممن كانوا يمتازون بالتسلط والجبروت، خاصة وأنّ الكتاب موجّه إليهم بالدرجة الأولى بحيث عدّد عيوبهم وحاول تقويم سلوكاتهم وتصرفاتهم تجاه رعيتهم، كما حاول أيضا تنظيم نمط حكمهم بتوجيههم وتبيين لهم المنهج القويم الذي يعتمدونه في كيفية القضاء بين الناس، وأيّ الأشياء خير لهم وأيها شر لهم، إلى غير ذلك من الأمور التي تخصّ الراعي والرعية والعلاقة القائمة بينهما.

إنّ للسياق الاجتماعي والسياسي الذي جاءت فيه قصص "كليلة ودمنة" دورا هاما في فهم المعاني التي وضعت من أجلها. بحيث عكست لنا الحياة العامة التي عاش فيها "ابن المقفّع" في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، لهذا لا يمكننا بأي حال من

---

1 - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، **إستراتيجيات الخطاب**، ص370.

* سيأتي الحديث عن هذا الجزء في العنصر الموالي.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص372.

الأحوال الكشف عن المضمرات، التي شبّع بها "ابن المقفّع" مؤلّفه هذا، إلاّ بالوقوف على الخلفيات التاريخية والسياسية التي بإمكانها إزالة الغبار على الكثير من المعاني التي لم يصرّح بها المؤلّف بشكل مباشر، والتي بإمكاننا أن نجليها عن طريق الحوار الذي جرى بين الشّخصيتين المحوريتين في قصص "كليلة ودمنة" "دبشليم و بيدبا"، بحيث تعتبر تقنية الحوار هنا كاستراتيجية خطابية، وظّفها "ابن المقفّع" لكي يكون له المجال مفتوحا في كيفية التعبير عن مقاصده، وتحميله لخطابه كلّ أنواع الأقوال المضمرة والافتراضات المسبقة التي على المتلقي المستهدف إعمال الفكر والرّوية من أجل الوصول إلى مغزاها ومعناها.

لقد وظّف "ابن المقفّع" تقنية الحوار والمثل في نفس الوقت، من أجل جعل خطابه أكثر ثراء، ولأنّه رأى في هاتين التّقنيتين الوسيلة الأفضل التي تتيح له فرصة بثّ كل أفكاره الفلسفيّة والسّياسية والاجتماعية عن طريق التّلميح.

يعتبر الحوار القائم بين الفيلسوف (بيدبا) والملك (دبشليم)، تقنية ناجحة من أجل بث سيرورة الأفكار التي تشبّع بها "ابن المقفّع" كما تعتبر أيضا تقنية "سؤال وجواب" الداخلة في ذات الحوار، تقنية أنجع لأنّها تتيح "لابن المقفّ" فرصة ترتيب أفكاره وتنظيم المعاني التي هو بصدد طرحها على متلقيه.

أمّا اعتماده على الأمثال التي يمكن تسميتها **« بالأمثال الفرضية أو الرمزية وهي الأمثال التي لا يعرف لها أصل تاريخي وتأتي غالبا على ألسنة الحيوان»**[1]، فيسمح له باستعمال الأسلوب الرّمزي والإيحائي في كيفية بثّ أفكاره التي صاغها على شكل افتراضات مسبقة وأقوال مضمرة، نظرا لما تحتويه على كم ثري من الحكم والمواعظ التّربوية التي صاغها عن طريق الاستراتيجية التّلميحية.

وانطلاقا مما سبق، نشير إلى أن "ابن المقفّع"، قد وضع مسبقا في ذهنه شروطا من أجل الوصول إلى الفهم الحقيقيّ والتّأويل الصّحيح، لمختلف متضمنات القول التي اعتمد عليها في قصص "كليلة ودمنة" كأن:

---

1 - عبد الله إبراهيم: **التلقي والسياقات الثقافية**، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر 2005، ص131.

- يتوفّر المتلقي على القدرة التي تؤهله لأن يتوصّل إلى المعنى الحقيقيّ عن طريق التّأويل.

- كما يشترط أيضا توفّر العناصر السياقّية والمرجعّية الثقافّية والسياسّية والاجتماعية التي تساعد هذا المتلقي على فك الرّموز والوصول إلى الأغراض الحقيقّية لقصص "كليلة ودمنة"، فبالتالي الوصول إلى ما يحتويه الخطاب يعتمد أساسا على تأويل المخاطَب له تأويلا صحيحا، لهذا يكون استنتاجه مبنّيا على عمليات معقّدة ومتسلسلة بحيث يكون للاستنتاج بذلك **« قضية ضمنية، بإمكاننا أن نستنبطها من القول ونستنتج محتواها الجانبي، بتركيب معلومات ذوات أوضاع مختلفة (داخلية وخارجية)»**[1].

إنّ لجوء الفيلسوف (بيدبا) إلى أسلوب التّلميح في محاورة الملك، لم يأت هكذا عبثا، بل استدعته أشياء كثيرة مسبقة، منها مراعاة الفيلسوف لمتلقيه (الملك) الذي كان يمتاز بالجبروت، حيث إنّه **«عندما اِستقر له الملك طغى وبغى، وتجبر وتكبر، وجعل يغزو من حوله من الملوك، وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا، فهابته الرعية، فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية، واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم وكان لا يرتقي حاله إلا اِزداد عتوا»**[2]، ثم إنّ الفيلسوف بامتيازه بالفضل والحكمة أدرك أن دعوة مثل هذا "الملك" إلى الصلاح، لا يتمّ إلاّ عن طريق الرّوية وإحكام العقل فأدرك بالتالي أنّ عملية النّصح لا تتمّ إلاّ بطريقة التّلميح، وهذا مراعاة لمقام الملك، بحيث يتمّ إرشاده بواسطة اللين وليس بالعنف والتّجريح خاصة أنّ**« للملوك سكرة كسكرة الشراب، فالملوك لا تفيق من السكرة إلا بمواعظ العلماء والواجب على الملوك أن يتّعظوا بمواعظ العلماء، والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها، وتأديبها بحكمتها، وإظهار الحجة البينة اللازمة لهم، ليرتدعوا عما هم من الاِعوجاج والخروج عن العدل»**[3]، ولعلّ الموقف الذي اتّخذه الفيلسوف أمام الحاكم (دبشليم)، هو نفس الموقف

---

1 - C.K: **orecchioni,** l'implicite, P24.

2 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، ص17.

3- المصدر نفسه، ص28.

الذي أراده "ابن المقفّع" أن يتّخذه من الملوك المعروفين في عصره، والذين يتّصفون بنفس صفات الملك (دبشليم)، لهذا جاء كتاب "كليلة ودمنة" بمثابة الدّستور المثاليّ لحسن السياسة والحكم.

الأكيد في قصص "كليلة ودمنة"، أنّ غرضها ليس محاورة سبع لثور، ولا قرد لغيلم بصفتها حيوانات، بل يتضمّن كلّ باب من أبوابها مقصدا معينا، فليس المحاورة المؤطّرة الجارية بين الفيلسوف والملك فقط التي تتوفّر على أقوال مضمرة، بل حتى المحاورات المؤطرة الجارية بين الشّخوص الموجودة ضمن القصص المؤطّرة، تتوفّر على قدر كبير من هذه المضمرات، حتى أنّ "ابن المقفّع" ما فتئ أن جعل كل هذه الشّخوص من الحيوانات تنطق بالحكمة والموعظة.

في "باب الأسد والثور" حاول الفيلسوف أن يبيّن للملك (دبشليم)، كيف يستطيع الكذوب المحتال أن يفرق بين الأصدقاء والخلان، وبين له أيضا كيف سيكون مصير مثل هذا الإنسان فيفتتح بذلك قوله بسرد قصة افتتاحية، ففي (مثل التاجر وبنيه) تحكي عن الجوّ العام الذي ابتدأ به المثل، وتحكي عن الأوضاع الأولى للشّخوص التي سوف يضمنها في أمثاله، الذي هو بصدد الإخبار عنها، لتكون بذلك بمثابة الأشياء التي سوف تساعد الحاكم على بلورة الأمثال التي سيسمعها في هذا الصّدد، وتوجّهه إلى الطريقة المثلى في كيفية تأويله لها.

ثم يلجّ الفيلسوف (بيدبا) في عالم الحوار، الذي جرى بين أبرز شخصيتين (باب الأسد والثور)، ألا وهما (كليلة ودمنة)، فيجعلهما تنطقان بالأمثال والحكم التي يريد إيصالها للفيلسوف مغذيا هذا الحوار بمختلف التّضمينات التي تتوفّر عليها أقوالهما.

قال "دمنة" لأخيه "كليلة": **« يا أخي ما شأن الأسد مقيما مكانه لا يبرح، ولا ينشط خلافا لعادته؟ »**[1] – وقد كان الأسد قد التزم أجمته خوفا من صوت الثور الذي أرعبه – يرد عليه "كليلة" قائلا: **« ما شأنك أنت والمسألة عن هذا؟ نحن على باب ملكنا آخذين**

1 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة** (باب الأسد والثور)، ص70.

لما أحب وتاركين ما يكره، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم، فإمسك عن هذا [...] »[1].

نلاحظ أنّ "كليلة" بجوابه هذا، على شكل توبيخ قد توصّل إلى فهم المقصد الذي أضمره "دمنة" في سؤاله الأول، بحيث لم يقم بالتّصريح به مباشرة، بل جعل "كليلة" يستنتجه عن طريق التّأويل، فكان مقصد "دمنة" كما ذهب إلى ذلك "سيرل"[2]، كان مقصده المتضمّن في القول إنجاز عمل أولي (الالتماس) بواسطة عمل ثانوي (السؤال)، ويفهم "كليلة" مقصد "دمنة" بفضل عملية معقّدة ف"كليلة" بعد أن طبّق القواعد الدّلالية للأعمال اللّغوية، وفطن إلى أنّ قول "دمنة" يمثل سؤالا، التجأ إلى المعارف المحصلة سلفا، فأدرك أنّ السؤال لا يناسب كثيرا مقام التّواصل، واستدل بواسطة مبدأ التعاون أنّ الاستفهام ليس هو على الأرجح العمل المتضمّن في القول المقصود، ثم عاد إلى المعارف في الالتماس الذي قصد "دمنة" إنجازه، ووفق شروط نجاح الالتماس فإنّه على الشّخص الذي نتوجّه إليه بالكلام أن يكون قادرا على فكّ رموز هذا الالتماس، وهذا طبعا بمساعدة السّياق المتوفّر لدينا وبفضل هذا الشّرط، استطاع "كليلة" أن يفهم مقصد "دمنة" المتمثّل في إرادته للتقرّب من الأسد، وهذا ما صرّح به لاحقا في قوله: **« أريد أن أتعرض للأسد عند هذه الفرصة لأنّه قد ظهر لي أنّه ضعيف الرأي، قد اِلتبس عليه أمره وعلى جنده أيضا ولعلي على هذه الحال أدنو منه، فأصيب عنده منزلة ومكانة، فيبتدرني بالكلام فأجيبه بما تقرحه القريحة لعلّها تنتج بيننا نتيجة تؤدي إلى إظهار أمر مكتوم»**[3].

وما فهم "كليلة" للمقصد التّواصليّ المضمر لـ"دمنة" إلاّ انطلاقا من خلفيات سياقية مسبقة كان يتوفّر عليها، فهو يعرف نوايا أخيه "دمنة" وهذا بحكم معرفته لطباعه وتصرّفاته وطريقة تفكيره.

ثم يواصل "ابن المقفّع" في سرده للأمثال في نفس الباب ومواصلة سرد الأحداث التي آلت إليها قصة "دمنة" الذي يفرق بين الأسد والثور، ثم اكتشاف الأسد لخديعة "دمنة"

---

1 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة** (باب الأسد والثور)، ص70.

2 - A.Reboul-J.Moeshler, **la pragmatique aujourd'hui**, P54.

3 - ابن المقفّع، **كليلة ودمنة**، ص72.

ليقوم بمحاكمته وإعدامه في الأخير جزاء لما فعل، لتكون هذه القصة وكل الأمثال التي تندرج ضمنها، بمثابة عبرة يستخلص منها الملك "دبشليم" الحكمة في كيفية التّعامل مع حاشيته، وكيف يمكنه اتقاء شرّ بعضهم الذين يضمرونه في نفوسهم.

كذاك الأمر بالنسبة لباقي الأبواب، حيث يجعل الملك يسأل عن أشياء، والفيلسوف يقوم بسرد الأمثال، كل مثل يسوقه عن طريق قصة، وكل قصة تحوي معنى باطنيا خلافا للمعنى المصرح به، فباب "الحمامة المطوقة" تحكي عن موضوع الصداقة والأخوة وهو باب يبين لنا إدراك "ابن المقفّع" لأهمية العلاقات الاجتماعية، ليجعل بذلك الحيوانات المذكورة في هذا الباب عبارة عن رموز تعبر بحق عما يريد إيصاله إلى المتلقي، ويجعل كذلك "الحمامة المطوقة" بحكم أنّها سيدة الحمام تعبر عن الحاكم السوي العادل، الذي يؤثر نفوس رعيته على نفسه في الأوقات الحرجة.

قالت الحمامة المطوقة للجرذ، عندما همّ بقطع الشرك الذي وقعت فيه هي وسائر الحمام -من جهتها هي-: **« ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي»**[1] فالحمامة بقولها هذا، لم تصرح بمقصودها مباشرة بل جعلت كلامها تلميحا على "الجرذ" السعي إلى فك مضمون إلا أنّه لم يتوصّل إلى مقصودها، بقوله: **« لقد كررت القول علي كأنك ليس لك في نفسك حاجة، ولا لك عليها شفقة، ولا ترعين لها حقا»**[2]، وهذا ما يسمّى بإخفاق العملية التّواصلية بسبب توظيف متضمنات القول، ومردّ هذا إلى سوء في التّأويل من طرف المخاطب للأقوال التي لم ينو المخاطب التّصريح بها يقول: "ديكرو": **«إن المخاطب في أحيان كثيرة قد يخطئ في إدراكه لنية المتكلّم في تصريحه بشيء أو استفهامه عنه»**[3].

إذن فكّ غموض متضمنات القول يبقى مرهونا بعمليات الاستنتاج والتأويل التي يقوم بها المخاطب، وبقدرته على استنباط صحيح للقضايا التي توفرت في الخطاب، وهذا بالاستناد إلى ما يحيط به من أوضاع سياقية مختلفة.

---

1 -ابن المقفع، **كليلة ودمنة** (باب الحمامة المطوقة)، ص129.

2- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

3 - O.Ducret, **dire et ne pas dire**, P13.

"فالجرذ" إذن لم يتوصّل إلى مقصود "الحمامة" إلاّ عندما قامت بالتّصريح به بعد ذلك قائلة: **« إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي، أن تمل وتكسل عن قطع ما بقي وعرفت أنك إن بدأت بهن قبلي وكنت أنا الأخيرة لم ترض، وإن أدركك الفتور، أن أبقى في الشرك»**[1].

وعلى هذا الأساس، فإنّ الفيلسوف وبضربه لمثل "الحمامة المطوقة" أراد أن يبيّن للملك "دبشليم" كيف يجب أن يكون الحاكم تجاه رعيته، بحيث عليه أن يكون لها الراعي والحامي الذي يحسّون معه بالأمان والطّمأنينة، خاصة في الأوقات الصعبة التي يمكن من خلالها أن تتعرّض الأمة للخطر، فعلى هذا الحاكم أن يستحكم عقله بما فيه خير لرعيته.

في باب "البوم والغربان" وباب "الجرذ والسنور"، خصّصها "ابن المقفّع"، لأن تكون نصوصا تلميحيّة، على السياق توضيحها وفك شفراتها، فهذه الأبواب تتضمّن معنى كيفية التّعامل مع الأعداء خاصة أنّ**« التعامل مع هذه الفئة يحتاج إلى شيء من التّدبر والتّدبير»**[2]، فبيّن بذلك الطريق القويم، ورسم الأسس المتينة التي يمكن للحاكم أن يتّبعها في كيفية تعامله مع العدو وكيفية تدبّره لأمره مع الأعداء، للتّقليل من عددهم واجتناب شرهم.

لقد اعتمد "ابن المقفّع" أقنعة الحيوانات كدوال للتّعبير عن مقصديته المضمرة، التي على السياق شرحها وتبيينها، فجاء كتاب "كليلة ودمنة" من أجل إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسيّة الفاسدة المنتشرة في عصره، كما جاء من أجل إصلاح جهاز الحكم حتى أنّه يوجد بعض النقاد اللذين قالوا أنّ هذا الكتاب موجّه بشكل مخصوص للخليفة العباسي "أبي جعفر المنصور"، هذا الذي كان يمتاز بظلمه وعدائه الشديد لأعمامه، كما كان يمتاز أيضا بحكمة الاستبدادي وحقده الشديد على "ابن المقفّع" لتحيزه لأعمامه يقول "أحمد أمين": **« إن اِبن المقفّع تكلم في هذا الكتاب على لسان بيدبا الفيلسوف، فجعل موقفه مع الخليفة المنصور، موقف بيدبا من دبشليم ويقوم بنصيحة المنصور نصيحة غير مباشرة، ويبصر الرعية ليفرقوا بين الظّلم والعدل [...]»**[3].

1 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، ص130.

2 - عبد الأمير شمس الدين، **الفكر التربوي عن ابن المقفع –الجاحظ- عبد الحميد الكاتب**، ص133.

3 -عبد الله ابن المقفع: **كليلة ودمنة**، حققه وقدمه، د/محمد أمين فرشوخ، دار الفكر العربي، ط1، بيروت 1990، ص20.

إنّ ما يمكن استنتاجه في الأخير، هو أنّ الأقوال المضمرة في "كليلة ودمنة" كلها تحتوي، على الأخبار القابلة لأن تكون محمولة بواسطة الملفوظ إذ تقوم على قصدية "ابن المقفّع"، وحدس متلقيه الذي يلجأ إلى التأويل والسياق معا لفكّ رموزها، إنّ لجوء"ابن المقفّع" لاستخدام الاستراتيجية التّلميحية ترجع إلى سياقات كثيرة تمنعه من التصريح بأغراضه، منها صيانة نفسه من الحكام العباسيين المقصودين في هذا الكتاب، الذي أراده قانونا عاما يتّخذه هؤلاء الحكام كدستور ينظمون من خلاله أسس حكمهم، ومجالات تعاملهم، سواء مع رعيتهم أو خاصاتهم في البلاط، وما استعمالُه للكلمة "زعموا" المبنيّة للمجهول إلا دليل على ذلك، لأنّها تعتبر من الملمحات التي يستعملها المرسل من أجل التلميح إلى عدم رغبته في غزو الخبر إليه بصفته مصدرا له، لهذا اتّخذه "ابن المقفّع" كوسيلة لدرأ أي سوء يمكن أن يطاله جرّاء ما تتضمّنه قصص "كليلة ودمنة".

3 - بلاغة الإقناع والإمتاع:

إنّ الهدف من الخطاب في كتاب "كليلة ودمنة" معيار تأسّست عليه استراتيجية الإقناع، بحيث يسعى "ابن المقفّع" من خلاله إلى «**إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي**»[1]، لدى متلقيه، لهذا نجده استحكم آليات معينة لإحداث العملية الحجاجية باعتماده على عناصر السياق المختلفة.

لقد لُخصت مسوغات استعمال الاستراتيجية الاقناعيّة في عدّة نقاط أساسية، أهمّها ذلك الشرط الأساسي في التّداول اللّغوي، ألا وهو شرط الإقناعية، بحيث يلزم المخاطب على جرّ متلقيه إلى الإقتناع برأيه، من دون أن يفرض عليه نوعا من الإكراه للإقتناع وإذا حدث أن اقتنع المتلقي برأي الغير« **كان كالقائل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به، رده على قائله مطّلعا إياه على رأي غيره ومطالبا إياه مشاركته القول به. وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون إذ ذاك أقدر على التّأثير في اِعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه، لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في اِستحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنّه يراها رأي العين**»[2].

---

1 - هنريش بليث: **البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)**: ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري، ط1، دراسات سال، الدار البيضاء 1989، ص64.

2 - طه عبد الرحمان: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، ص38.

إنّ السياق الذي وضعت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، فرض على "ابن المقفّع" أن يبني هذه الخطابات وفق منهجية تقويميّة معيّنة، مفادها الظاهر هو الإمتاع ومفادها الباطن هو الإقناع، حيث اعتمد على **المثل الخرافي** لكي يكون وسيلة لإمتاع المتلقي من جهة ولكي يكون بمثابة القناع الذي يخفي وراءه المقاصد المحورية له. هذه المقاصد التي بيّنها عبر الحجّة المثل التي طغت على الكتاب ككلّ، والتي تعتمد على الكفاءة التّداولية في استظهارها وتبيينها، لتصبح بذلك أفعالا تأثيرية.

تستمدّ الحجة المثل، شرعية توظيفها في كتاب "كليلة ودمنة" من خلال امتلاك المرسل لثقافة واسعة، سواء تعلّق ذلك "بابن المقفّع" ذاته، أو بالفيلسوف بصفته السارد الرئيسي لقصص "كليلة ودمنة" والعارض الرئيسي كذلك لمختلف الحجج الواردة فيها والتي تعتمد أساسا على المثل، فالفيلسوف يمتلك دون شك، رصيدا معرفيا يؤهله لأن يجد دعوى أو يبني اعتراضا معيّنا كما يؤهله لبناء خطابه واختيار حججه المناسبة له.

لقد ألزم السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي، على "ابن المقفّع" بأن يبني خطابه هذا وفق آليات حجاجية تنسجم وهذا السياق المشحون بتوتّرات سياسية على مستوى بلاطات حكام عصر"ابن المقفّع" هذه التوترات التي طالت الراعي والرعية على حد سواء. لهذا فرضت على "ابن المقفّع" اختيار حججه بشكل دقيق جدا، مراعيا بذلك المتلقي المستهدف في خطابات "كليلة ودمنة" وهو الحاكم، ومراعيا كذلك نفسه من أن يقع في شرك خطابه هذا، متبرئا منه بشكل غير مباشر، وذلك بتوظيفه للاستراتيجية التلميحية التي تضمّنت بدورها نمطا استدلاليا متضمّنا الحجج التّلميحية التي اعتمدت أساسا على ما يسمى بالحجة الدّليل.

- **نمط الاستدلال عند "ابن المقفّع":**

- **حجة الدليل (الشّاهد):**

يعتبر الاستشهاد بما يسمى الحجج الجاهزة عند "أرسطو"، بمثابة دعامات الحجاج القويّة[1]، إذ يستعملها المرسل حسب ما يقتضيه عليه السياق، وقد ذكر "**أرسطو**" في كتابه

1 - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، **إستراتيجيات الخطاب**، ص537.

"**الخطابة**" هذا النوع من الحجج تحت اسم "**الحجج غير المصطنعة**"، وهي عنده مجمل القوانين والاعترافات وأقوال الحكماء، وتختصّ إجمالا بالخطابة القضائية[1].

لقد اعتمد "ابن المقفّع" على المثل كشاهد أساسيّ لتقوية حججه، بصفته حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدّمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، وهو عند "أرسطو" تاريخي (ميتولوجي) أو مبتدع كالمثل الخرافي.

ابتدأت كل أبواب "كليلة ودمنة" تقريبا بالحوار الإطار الذي كان بين الفيلسوف والحاكم، حيث يطرح هذا الأسئلة التي يجيب عنها الفيلسوف عن طريق سرده لمختلف الأمثال والحكم، والملاحظ في قصص "كليلة ودمنة" أنّها مشبعة بثنائية السرد والحوار حيث بنى "ابن المقفّع" أسس حججه على هذه الثّنائية.

فبدايةً يقوم الحاكم بطرح سؤال على الفيلسوف، وبدوره هذا يقوم بإجابته بطريقة تقنية جدا، حيث وضع لكل إجابة تمهيدا يضع الحاكم من خلاله في الإطار العام لجوابه.

ثم يتبعه بعرض وافٍ، بسرده لمختلف الأمثال التي تتداخل فيما بينها تداخلا ضمنيا بارزا لينهي عرضه هذا بجملة حكمية تُجمل ما سرده في العرض من الحوار الجاري بين مختلف الشّخوص المعتمدة فيه، فالملاحظ في هذه الطريقة أنّ "ابن المقفّع" استطاع صياغة سلالم حجاجية خاصة لكل باب من أبواب "كليلة ودمنة"، بدايتها تمهيد ووسطها عرض ونهايتها حكمة، ويمكن التّمثيل لذلك بهذا السلم النموذجي الذي يمكن تطبيقه على باقي الأبواب:

---

1 - ينظر: محمد العمري: **في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية "الخطابة في القرن الأول نموذجا")**، د ط دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب 1986، ص24.

باب القرد والغيلم:
ردا على سؤال الملك:
"اِضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها"

حكمة (إنّ الرجل الصالح يعترف بزلته، وإذا أذنب ذنبا لم يستح أن يؤوب لصدقه في قوله وفعله، وإن وقع في ورطة، أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله، كالرجل الذي يعثر على الأرض وعليها يعتمد في نهوضه).

عرض وافٍ من أمثال متداخلة مبنية من خلال السرد والحوار.

تمهيد (إنّ طالب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها، ومن ظفر بالحاجة ثم لم يحسن القيام بها، أصابه ما أصاب الغيلم).

فما نستنتجه في هذا السلم، أنّ "ابن المقفّع" وضع متلقيه في إطار عام، يشرح له الوضعية العامة والتّمهيدية التي سوف يبني عليه حواره، ثم يبدأ بسرد مختلف الأمثال في قالب حجج مقنعة يريد إيصالها إلى متلقيه المستهدف، مستحكما بذلك المنهج الاستدلالي القائم على « **اِعتماد المحاور في بناء النص، الصور الاِستدلالية مجتمعة إلى مضامينها أوثق اِجتماع، وكأن يطوي الكثير من المقدمات والنتائج، ويفهم من قوله أمورا غير تلك التي نطق بها، وكأن يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التّدليل به، وأن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن دليل للتّسليم بها، كل ذلك لأنّه يأخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة ومعتقدات موجهة ومطالب إخبارية وأغراض عملية** »(1).

1- طه عبد الرحمان، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، ص46.

وأخيرا يجمل ما قاله سابقا بحكمة، استعملها كأداة حجاجية يصدق معناها في السياق، بحيث أنّها« **صيغ نظمية يقتضيها سياق الكلام، في الأغراض والموضوعات المتنوعة، وترد في مستهلّها أو عقبها مقصودا بها التأثير والاِستدلال والإقناع**»[1].

يفتتح "ابن المقفّع" جل أبواب "كليلة ودمنة" بكلمة "**زعموا أن**"، وهذا المصطلح يدل على أن السارد في صدد سرد حكاية، كما يعلن أيضا « **أن السرد قد بدأ وتحدد نوعه**»[2]، كان بإمكان "ابن المقفّع" أن يدخل مباشرة في سرد المثل على لسان الفيلسوف ردّا على سؤال الملك بصيغة "اضرب لي مثلا"، ولكنّه آثر مسبقا أن يبدأها بشبه تمهيد لكي يهيئ الأرضية لمتلقيه، لأنّ "ابن المقفّع" وضع مسبقا نصب عينيه، ما يسمى بالمتلقي الهاوي وهو الذي يبحث عن المتعة، وقد حققت كلمة "زعموا أنّ" هذا الهدف لأنّها تدلّ دلالة واضحة على بدء الحكاية، ونحن نعرف أنّ قراءة الحكايات لا تخلو أبدا من الاهتمام والمتعة والتّركيز، مما يجعل متلقي "ابن المقفّع" لا يستطيع أن يضع كتاب "كليلة ودمنة" إلاّ إذا استوفى قراءته كلّه.

إذن كلمة "زعموا أنّ" الافتتاحية تعتبر دعامة حجاجية سعى من خلالها "ابن المقفّع" لجذب متلقيه بكل درجاته، وبهذا نلاحظ مدى تدخّل السياق في كيفية اختيار السارد لآليات حجاجه وسرده، وهذا السياق هو المعلومات المتوفّرة "لابن المقفّع" حول متلقيه الذي وضع له صورة مسبقة في ذهنه.

بعد هذا يبدأ الفيلسوف بسرد أمثاله المتضمنة في مختاف القصص المثلية التي حكاها، لكي يصل إلى هدفه المنشود، ألا وهو إقناع الملك، ففي باب "السائح والصائغ" قال الملك: «**قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي المثل الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشّكر عليه**»[3].

---

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، **إستراتيجيات الخطاب**، ص541.

2 - عبد الفتاح كيليطو: **الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)**، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب 1988، ص34.

3- ابن المقفع، **كليلة ودمنة** (باب السائح والصائغ)، ص211.

فيبدأ الفيلسوف برده بمقدمة مطوّلة من التّوجيهات، والكلام الحكيم **« أيها الملك ليس أضيع من جميل [...] وقد مضى في ذلك مثل ضربه بعض الحكماء، قال الملك: وكيف كان ذلك؟»**[1]. ثم يبدأ الفيلسوف بضرب مثل: الحية والقرد والببر. لينهي كلامه بخاتمة عبارة عن حكمة بقوله: **« ففي صنيع الصائغ وكفره له بعد اِستنفاذه إياه، وشكر البهائم له، وتخليص بعضها إياه، عبرة لمن اِفتكر، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم، قربوا أو بعدوا، لما في ذلك من صواب الرأي وجاب الخير وصرف المكروه»**[2].

فلو تتبّعنا هذا البناء، سنلاحظ أنّ "ابن المقفّع" اعتمد على المثل كركيزة أساسية وهذا لمعرفته للقوة التأثيرية التي يحتويها حيث أنّ التمثيل حسب الجرجاني **« ينقل النفس من الشيء المدرك بالعقل المحض، وبالفكرة في القلب، إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع، وعلى حد الضرورة»**[3]، والمثل بدوره يتكوّن من عنصرين وهما السرد والحكمة فغاية المثل هي الحكم التي لخّصها الفيلسوف في الأخير، ولكن للحكم أيضا غاية وهي العمل، حيث أنّ غاية الغاية عند "ابن المقفّع" هو فعل الرسالة التأثيري الذي يعدّ ضمن التداولية التخاطبية pragmatique illocutoire، كما ميّزتها" أوركيوبي"[4]، "فابن المقفّع" مقصوده ليس الوقوف على هذه الأمثال وقراءتها والتمعّن فيها وفهم ما فيها من حكم، بل الغاية منها هي العمل بما جاء داخلها، وهذا ما كان يسعى إليه كذلك الفيلسوف، حيث جاءت هذه الأمثال عبارة عن أحكام تربوية على الحاكم الأخذ والعمل بها، يقول "ابن المقفّع": **«ثم إن الرجل العاقل، إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمية فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه»**[5].

---

1 - ابن المقفع: **كليلة ودمنة**، (باب السائح والصائغ)، ص212.

2 -المصدر نفسه، ص214.

3 -عبد القاهر الجرجاني: **أسرار البلاغة**، شرح وتعليق وتحقيق عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، ط1، دار الجيل، بيروت 1991، ص94.

4- هاشم صالح: **المسرح والتداولية**، من موقع http://aslimnet.free.fr

5- ابن المقفع: **كليلة ودمنة** (باب عرض الكتاب)، ص59.

وهذا معناه أنّ المثل يحمل في طياته، فعلا لغويا إلزاميا تلميحيا، يتمحور في صيغة الأمر، حيث إنّه يتضمّن بصفة صريحة أو ضمنية دعوة إلى فعل أو إلى سلوك. "فابن المقفّع" وإن اعتمد على المثل كركيزة حجاجية في كتاب "كليلة ودمنة"، فإنّ السياق هو الذي فرض عليه ذلك، بأن تأتي حججه بهذا الشكل لكي تكون أكثر إفادة وأكثر إقناعية، منبعثة من مقصديته التي تعدّ هدفا أساسيا والتي يجملها في ثلاثة أغراض وهي:

1- الغرض التّعليمي:

إذ أنّ كتاب "كليلة ودمنة" لا يخلو من هذا الغرض، من أوله إلى آخره، "فابن المقفّع" في هذا الكتاب مارس نوعا من الطريقة التعليمية التي تعنى بكل المجالات سواء الأخلاقية منها أو التربوية والاجتماعية، فكان حينها رجلا معلما ومصلحا اجتماعيا، راسما هدفا كبيرا في هذا الكتاب« **يشتمل على إرساء قواعد التّهذيب الأخلاقي، في تأديب الذات، وفي السلوك العام، توصلا إلى مجتمع عالم وعامل بما يعلم، يرأسه الأفضل والأعرف والأمثل في تطبيق العدل وإحقاق الحق**»[1].

يكاد يكون كتاب كليلة ودمنة منهجا تعليميا قائما بذاته، وذلك بتتبّع "ابن المقفّع" فيه سلسلة من الإرشادات والتعليمات على شكل حجج قوية التأثير على المتلقي، إذ قال: «**فمن نظر في هذا، فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلابة والمكر فإنّه سيجزى على خلابته ومكره**»[2].

ويقول في موضع آخر: «**وقد قالت العلماء: لا ينبغي للإنسان أن يتوانى في الجد للتقوى، بل لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم** »[3].

وفي جانب آخر يقول: « **وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه، ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره ونفعه به، وحرمان نفسه منه [...] فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه ويجهدها برياضتها [...]** »[4].

---

1 - ابن المقفع، **كليلة ودمنة**، تحقيق وتقديم محمد أمين فرشوخ، ص19.

2 - المصدر نفسه، (باب الأسد والثور)، ص128.

3 - المصدر نفسه، ص119.

4 - المصدر نفسه، (باب عرض الكتاب)، ص60.

وفي موضوع آخر يقول "ابن المقفّع": **« ثم تذكرت فوجدت البلاء في الدنيا، إنّما يسوقه الحرص والشره [...] ووجدت ركوب الأهوال وتجشم الأسفار البعيدة في طلب الدنيا أهون علي، من بسط اليد إلى السخي بالمال [...] ووجدت العلماء قد قالوا: لا عقل كالتّدبير ولا ورع ككف الأذى، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كالرضى [...] وقالوا: الخرس خير من اللسان الكذوب والضر والفقر، خير من النعمة والسعة من أموال الناس [...] »**[1].

فنلاحظ هذه السّيرورة المتواصلة، من التّعليمات في مختاف الموضوعات كالمكر والخداع والعالم والمتعلم والفقر والغنى ...إلخ، "فابن المقفّع" حاول أن يخبر متلقيه بواقع ما دون استدعاء العواطف، وحاول التأثير على متلقيه بأكبر عدد ممكن من الأخبار، ساقها على شكل حجج مختفية وراء ما أسميناه بالحجة المثل (الخرافي).

2- الغرض الحجاجي:

حيث اعتمد "ابن المقفّع" في هذا الغرض، على الاستقراء أو الاستنباط في الوصول إلى ما يريده في كتاب "كليلة ودمنة" ويتمثل هذا في جعل موضوع هذا الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل، والغرض من ذلك هو جعل غير المحتمل محتملا.

3- الغرض الأخلاقي:

ويتمثل هذا الغرض في محاولة "ابن المقفّع" تعليم متلقيه مواضيع مختلفة في مجال الأخلاق، حتى أننا نجد في ثنايا كتاب "كليلة ودمنة" انتشارا واضحا لعدّة مواضيع في الأخلاق.

يقول "ابن المقفّع" : **« وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا، ولا يتمادى في الخطأ إذا اِلتبس عليه أمره، ولا يلج في شيء عنه، ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب، فيه وتتوضح له الحقيقة»**[2].

---

1 - ابن المقفع (باب الحمامة المطوقة)، ص136.

2 - المصدر نفسه (باب عرض الكتاب لابن المقفع)، ص63.

وفي موضوع آخر يقول : « **ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر، ويعلم أن ما كُتب سوف يكون، وأن من أتى صاحبه بما يكره لنفسه فقد ظلم [...] ويحب للناس ما يحب لنفسه[...]** »(1).

ويقول أيضا: « [...] **وليس لصاحب دنياه شيء لا مال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه [...]** »(2).

وموضوع آخر يقول فيه : « **اِعلم أن الأحقاد لها في القلوب مواضيع ممكنة موجعة فالألسن لا تُصدق في خبرها عن القلوب، والقلب أعدل شهادة على اللسان من اللسان على القلب**»(3).

فما نلاحظه مما سبق أنّ الأخلاق الحميدة، كانت الوسيلة الأولى التي استعان بها "ابن المقفّع" في إصلاح وبناء الأفراد والجماعات، كما كانت المسعى والغاية لديه، في الوصول إلى أهدافه، وما نلاحظه كذلك هو امتزاج هذه الأغراض الثلاثة، عند "ابن المقفّع" (التّعليمي– الحجاجي– الأخلاقي)، حيث أنّ التعليمي والأخلاقي، ينصبان في نفس المجال، وكلاهما يستدعيان طريقة حجاجية، لكي يكون مفعولهما أقوى في المتلقي.

وقد وجد "ابن المقفّع" الحجة المثل والحكم، مخرجا له في كيفية تعبيره عن هذه الأغراض الأساسية التي أراد أن يوصلها إلى متلقيه، إذ إنّ هذه القوالب يصدق معناها في السياق، إذ "**هي صيغ نُظمية يقتضيها سياق الكلام في الأغراض والموضوعات المتنوعة، وترد في مستهلّها أو عقبها مقصودا بها التأثير والاِستدلال والاِقتناء**"4 فعندما يسأل الملك بهذه الطريقة: "اضرب لي مثلا الذي يضع المعروف في غير موضعه".

فيرد عليه الفيلسوف، بسيرورة من الأمثال التي عبّر عنها عن طريق القصة المثل على لسان الحيوان، فيحاول من خلالها أن يقنع الملك بشتّى الطرق وبوسائل لغوية مختلفة

---

1 - ابن المقفع، كليلة ودمنة(باب عرض الكتاب لابن المقفع)، ص63..

2 - المصدر نفسه (باب البوم والغربان)، ص148.

3 - المصدر نفسه (باب الملك والطير فنزة)، ص177.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 541.

حيث وظّف أنواعا مختلفة من الرّوابط الحجاجية، من أجل إقناع الحكام، فيأتي جوابه بهذا الشكل:

- أيّها الملك، ليس أضيع من جميلٍ يصنع مع غير شاكر، ولا أخسر من صانعه.
- كما أنّه لا بذر أنمى من بذر الجميل في قلوب الشاكرين.
- ولا تجارة أربح من تجارته.
- ومع ذلك فإنّ المرء جدير أن يصنع المعروف إلى كل أحدٍ.
- فإنّه إن ضاع المعروف عند النّاس، لا يضيع عند الله...
- غير أنّ الملوك وغيرهم من ذوي العقول، إذ تعمدوا بمعروفهم أحدا يختصونه به.
- ينبغي لهم أن يضعوه موضعه، ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره.
- ألا ترى أنّ الطبيب الرفيق العاقل لا يكتفي في مداواة المريض بالمعاينة فقط، لكنّه لا يقدم على علاجه إلاّ بعد تعرّف أحواله...
- لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر أحدا من الناس حتى البهائم...
- وإنّ طبائع الخلق، أيّها الملك مختلفة...
- وقد مضى في ذلك مثلٌ ضربه بعض الحكماء.
- زعموا أنّ جماعةً...
- فضي صنيع الصائغ وكفره له بعد استنفاذه إيّاه، وشُكل البهائم له، وتخليص بعضها إيّاه عبرةٌ، لمن افتكر وأدت في وضع المعروف والإحسان عند الوفاء والكرم قربوا أو بعدوا، لما في ذلك من صواب الرأي، وجلب الخير، وصرف المكروه.

فنلاحظ ممّا سبق، على أنّ الفيلسوف ردا على الملك، وبعد أن خاض في الشرح بالتّفصيل، والتّعليل والتّعليق، وسرده لسلسلة من الأمثال، وصل في الأخير إلى نتيجة إجمالية، تلخص ما جاء في العرض، وذلك باعتماده أساسا على واصلات شارحة وتفسيرية، ويعود السبب في ذلك، إلى أن إدراك الفيلسوف أنّه يتوجه بالكلام إلى شخصية لا تتّسم بالبساطة، وبالتالي فهي شخصية تتطلّب الجهد في الكلام من أجل الوصول إلى إقناعها، فعمد بذلك إلى تقنية التّعليل والتّبسيط، لكي تكون البنية الحجاجية لخطابه موجبة خادمة للموضوع الذي سئل عليه، ومدّعمة إيّاه، ولا يخفي علينا كذلك أنّ "ابن المقفّع"

وكما ذكرنا هذا سابقا، فإنّه قد وضع نُصب عينيه ثلاث درجات للمتلقين، الهاوي-العارف والنّموذجي، هذا ما جعله ينشئ خطابه على شاكلته هذه، لكي يكون حجّة للمتلقي الهاوي بأمثاله الساخرة، وللمتلقي العارف بمختلف حكمه الهادفة، والحجّة القصوى أن يكون هذا الخطاب إقناعا تاما للملك الذي كان محور "كليلة ودمنة" والغاية القصوى أن يكون حجّة الحجج للفيلسوف باعتباره من ضمن متلقي الدرجة القصوى لهذا الخطاب.

فجاءت "كليلة ودمنة" مجموعة من الحكم والأمثال التي كانت من ضمن المأثورات في الثقافة العربية، والتي كانت تأخذ دلالتها في السياق، والأمر الذي أعطى لها مصداقيتها وقوتها الحجاجية، هو أنّها قد صدرت من مرسلٍ تتّفق وإيّاه في الصفات، وهو الفيلسوف الذي لا يفتأ أن يتحدث إلاّ بالكلام الحكيم. يقول "حنا الفاخوري": «**الحكمة في كليلة ودمنة جوهر، وأما ما بقي فعرض، والأشخاص في جملتهم حكماء ينطقون بالحكمة، كما يضربون أحيانا الأمثال، ويحاولون الإقناع بصحة الحكمة وضرورة الجري بموجبها والحِكمة في كليلة ودمنة ليست مقصورة على ما يستخاص من الأمثال ويشار إليها في صدر تلك الأمثال وخاتمتها ولكنّها منشورة أيضا في كل مكان [...] بل هي عموما نتيجة الخبرة والعقل والتفكير.**»[1]

وبهذا "فابن المقفّع" وظّف استراتيجية حجاجية قائمة على الأمثال والحكم، لكي تكون أكثر وقعا على المتلقي، لخصّ من خلالها أفكاره الفلسفية والإصلاحية والأخلاقية.

[1] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 463.

الفصل الثالث

المقاصد العامة وسياق العصر

تمهيد.

1- تقويم سياسة الحكم

2- قيم الصداقة

3- العقل وتهذيب النّفس

تمهيد:

تعدّ المقاصد من بين أهم العناصر التي يحاول المتلقي الوصول إليها، وهذا لأنه لا يخلو أي نص منها، حيث يرتكز دور المقاصد في غرض الاستراتيجية الأنجع التي تساعد المخاطب في كيفية نقل مقاصده، بمراعاة العناصر السياقية المختلفة إذ تساعد هذه المتلقي على فهم مقاصد مخاطبه.

إنّ مقصدية المؤلف، عادة ما تُقترن بأبعاد سياقية مختلفة، كالبعد التاريخي والثقافي حيث أنّ المتلقي لا يمكنه فهم ما جاء في خطاب مؤلّف معين إلاّ بالعودة أصلا إلى العوامل الخارجية، أي إلى عصر المؤلّف ذاته حيث **« أن كلّ تأويل لا يجوز له أن يتناقض مع بعض المعطيات الموضوعة (تاريخية أو لغوية [...]) »**[1].

انطلاقا من هذا سنحاول أن ندرس مقصد "ابن المقفّع" في كتاب "كليلة ودمنة، والسبب الذي جعله يصوغه في شكله التّلميحي، المشبع بأنواع مختلفة من الحجج. وذلك طبعا استنادا إلى معرفة ظروف النص الموضوعية ووضعية المتكلم ومكانته ومن ثم نقوم باستخراج أهم الأغراض التي بنى عليها "ابن المقفّع" أفكاره في كتاب "كليلة ودمنة".

1- رشيد الإدريسي: سيمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء 2000، ص30.

1- دور السياق وسياق العصر:

لو تتبّعنا الفترة التي جاء فيه خطاب "كليلـة ودمنـة"، نجـدها فتـرة مشـاحنات ومطاحنات، وهذا يعود إلى أنّ "ابن المقفّع"، عاش في النصف الأول من القـرن الثـاني الهجري، حيث لم يدرك من الدولة الأموية إلاّ« **السنوات العشر الأولى وهي فترة تمكين النظام الجديد، وتقويته بالقضاء على سائر المناوئين والمعارضين، ولذا فأقلّ ما يقـال عن عصره أنّه كان بعيدا عن أي اِستقرار سياسي واجتمـاعي، وأنّـه يتّسـم باحتـدام الصراعات المتعددة بين مختلف الفئات وقيام تيارات متنافرة متطاحنة** »[1]، فهذه الأوضاع كلها مجتمعة جعلت "ابن المقفّع" يقضي جزء كبيرا، من حياته متأثّرا بعصره، حيث اتجـه فـي حياته اتجاها أملته عليه تلك الأوضاع.

وهذا كله حصل بعد الانقلاب العباسي، حيث اتصل "ابن المقفّع" ب"عيسى بن علـي" عم "السفاح" و "المنصور" والي الأهواز، فأسلم على يده وكتب له ولزم بعض بني أخيـه يؤدبهم ويشتغل بتعليمهم وتهذيبهم.

لقد عرف العصر العباسي بالظلم، وأخذه الناس بالشدة وقتلهم بالظّنة، الأمـر الـذي حوّل ابن المقفّع إلى كاتب ثائر على تصرف الملوك والحكام، فألّف عدة كتب، نقل بعضها عن الفارسية، وابتكر الباقي منها "**الأدب الكبير**" و"**الأدب الصـغير**" و"**رسـالة الصـحافة**" و"**الآمان**"، لكن أشهرها هو كتاب "**كليلة ودمنة**" الذي يدور حول ما ينبغي أن يسير عليـه الملوك إزاء الرعية وما ينبغي أن تكون عليه الرعية إزاء الملـك، هـذا الأمـر جعـل الحاكمين في تلك الفترة يغضبون على "ابن المقفّع"، خاصة منهم الخليفة "المنصور" الذي أوعز إلى "سفيان بن معاوية المهلبي" أمير البصرة آنذاك بقتله والتمثيل به وكان ذلك عام (759م – 142هـ) وهو لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره.[2]

لقد أرجع الباحثون سبب قتل "ابن المقفّع" إلى سببين مختلفين، الأول يتمثل فيما جاء في كتبه المختلفة، خاصة كتاب "كليلة ودمنة"، الذي وظّف فيه الاستراتيجية التلميحية، فقد

---

1 - عبد الحميد حاجيات: عبد الله ابن المقفع (حياته وآثاره)، د ط،، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص6.

2- لمزيد من الاطلاع ينظر المرجع نفسه، ص ص 16 – 17 .

قال البعض على أنّه ربما كان قتل "ابن المقفّع" بسبب وضعه لكتاب "كليلة ودمنة" الـذي يمثل **« جدلية الصراع بين القوى التي تتنازع البقاء، كما تتنازع السلطة ذاتها »**[1].

ويقول البعض الآخر **« ربما كان من الأسباب التي قتلت الرجل كتاب "كليلة ودمنة"، فقد كان ضحايا المنصور كثيرون جدا، قتلهم بالظّنة وتذرع في قتلهم بتهمة الزندقة [...] ومن يدري لعل "اِبن المقفّع" لم يجد طريقة يصلح بها اِعوجاج الخليفة ويتشفى لنفسـه بها إلاّ أن ينقل إلى الناس كتاب "كليلة ودمنة"، وهو يرجو أن يقرأه الخليفة فيعدل عـن غيه وأن يقرأه غيره فيتسلى بلهوه [...] »**[2].

إذن هو الخوف، الذي جعل "ابن المقفّع" يقنّع كتاب "كليلة ودمنة"، بقنـاع الحيوانـات حيث إنّه من مسوغات استعمال الاستراتيجية التلميحية **« التملّص والتهرب من مسؤولية الخطاب»**[3]، كما يقول "براون وليفنسون"، فهذه الاستراتيجية، تجعل خطاب "كليلة ودمنـة" يحتمل أكثر من تأويل منها القريب ومنها البعيد، فيختار متلقيه من التأويلات ما يعتقد أنّه الأنسب للسياق **« مع اِستبقاء الفرصة لدى المرسل لينكر وينفي القصد الذي قد يوقعـه في ورطة، لو أقر بإنجاز فعل لغوي معين من خلال خطابه »**[4].

"فابن المقفّع" يكون بهذه الاستراتيجية متملصا، بقصده حيث تمكنه من نفـي قصـده فـي خطابه، إذا ما حدث إن استدعاه "المنصور" لشرح ما جاء في كتاب "كليلة ودمنة" خاصـة باستعماله لكلمة **"زعمـوا"**، التي تسند فعل السرد والرواق، لقائل مجهول الهوية، وبذلك لا تنسبه إلى شخصية "ابن المقفّع".

هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك بعض من الباحثين، الذين يرجعون سبب قتـل "ابن المقفّع" إلى زندقته، حيث اتهمه الكثير من الأدباء والكتاب بالزندقة والاستهتار وعدم إسلامه عن حسن نية، حيث يقول فيه البعض، أنّه عديم الإخلاص لدينه الجديـد **« أمـا**

---

1 -خليل أحمد خليل: رموز الوعي السياسي في كليلة ودمنة، مجلة دراسات عربية، ع1-18، دار الطليعـة، بيـروت 1981، ص11.

2 -حمزة عبد اللطيف: ابن المقفع، ط3، دار الثقافة العربية للطباعة، د ب، 1965، ص229.

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص372.

4 - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

عقيدته الدينية فملأ بالشكوك والدس، الذي نجده ما بين السطور، رغم أنّه يغلف ذلـك بعبارات إسلامية، لإلهام الرأي العام، وأن "اِبن المقفّع" لم يكن عديم الإكتـراث بالـدين الإسلامي فحسب، وإنما كان يحمل بغضا ممزوجا بالشك في أمر الدين [...]»[1].

إلاّ أننا من جانب آخر، نجد من يبرأ "ابن المقفّع" من هذه الزندقة، فيعترفون له بصـلاح الأخلاق وحسن السيرة، حيث يعتبرونه « **أنموذجا للأخلاق الصالحة والحميـدة، التـي وضعها للنّاس في رسائله، ويستشهدون على ذلك بسلوكه وممارسـته مـع الأصـدقاء والأعداء على حد سواء »[2].**

ويقول فيه "حنا الفاخوري": « **كان لابن المقفّع فضل جم علـى الأدب العربـي والعقـل العربي، وهو خير مثال للثقافة الواسعة، والفكر الصـافي العميـق والأسـلوب العـالي الرصين »[3].**

وهكذا فإنّ مقتل "ابن المقفّع" متأرجح بين مؤلفاته التي يقال أنها موجّهة بالدرجة الأولى إلى حكام زمانه، أولاهم "أبو جعفر المنصور" وبين زندقته التي تقول بشدة عدائه للإسلام.

2- أغراض كتاب "كليلة ودمنة":

لو عدنا إلى حكايات "كليلة ودمنة" نجدها زاخرة كما وضّحنا سابقا بمختلف الأقوال المضمرة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بوضعية الخطاب وسـياق الكـلام، حيـث أنّ هـذه الحكايات تتعلق تعلقا كبيرا بمقصدية "ابن المقفّع" أولا، ومدى قدرة متلقيه في الاسـتنتاج ثانيا، انطلاقا من قدراته التداولية، تقول "أوركيوني" على أنّ الأقوال المضمرة هي: « **كلّ المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكـن تحقيقهـا فـي الواقـع تبقـى رهـن خصوصيات السياق»[4].**

---

1 - ناجي التركيني: الفلسفة الأخلاقية الافلاطونية عند مفكري الإسلام، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1979، ص 266.

2 - عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن المقفع، ص133.

3 - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص470.

4 -C.K Orecchioni, l'implicite, P39.

لقد عمد "ابن المقفّع" في توظيف الاستراتيجية التلميحية التي تضمّن عـدة أقـوال مضمرة، وهو واضع في ذهنه طبقات المتلقين الذين افترضهم مسبقا، ومن بينهم المتلقـي المستهدف لديه، ويمكن أن يكون هذا المتلقي "أبو جعفر المنصور" في حد ذاته، لهذا جاء خطابه تلميحا أكثر منه تصريحيا، خاصة إذا عرفنا ما لهذا السلطان مـن بطـش وقهـر وسلطة على رعيته وما له أيضا من مشاحنات ضدّ "ابن المقفّع"، فعمد هذا إلـى إصـلاح سلاطينه بطريقة غير مباشرة، هادفا من خلالها إلى غرضين أساسيين في الكتاب، وهمـا الإقناع والإمتاع في نفس الوقت، ليمتزج بذلك تفاعل خطابين في خطاب واحد، فالخطاب الإقناعي يرتكز فيه **«خطاب النّقد على سلطة الحجة العلمية، تحقيقا لمقصـدية معينـة: إقناع المتلقي [...] والإقناع – من ثمة- عملية تفاعلية، يحصل بموجبها تغيير المعتقد النقدي، بالذي يجب أن يكون عند المتلقي »**[1].

أما الخطاب الإمتاعي، فيقصد به "ابن المقفّع" توجيهه إلى طبقة المتلقين اللاّهون، والـذين يبحثون عن متعة القراءة، حيث تطغى في هذا الخطاب سلطة **« المتلفظ، من خلال آليات وعلاقات محددة، ومن ثمة تظل الذات محور الخطاب »**[2].

لقد وقف "ابن المقفّع" موقف المصلح للكثير من أمراض المجتمع والسياسـة التـي ظهرت في عصره، واستنكر الكثير من الأشياء في الدولة الناشئة، وحكامها الجدد وكـان يرى أنّ معظم تلك الأمور التي كانت تجري في تلك الفترة، ترجع إلى السياسة التي كان يستحكمها حكام ذلك الزمان، كما رأى بعدم توفر الحرية السياسية، فأراد أن يقـف مـن حكامه موقف "بيدبا" من "دبشليم" في كتاب "كليلة ودمنة" و **« أن يتّخذ الطرق التي تتـيح له النصح من غير تعرض للهلكة [...] فعمد إلى الترجمة فنقل سـائر كتبـه، ليقـدم للدولة وأبنائها أمثلة من النصح ومن شواهد التاريخ الفارسي، وعني بنوع خاص بنقل كتاب "كليلة ودمنة"»**[3].

وشدّد في أمر مطالعته، وأوصى بتفهم معانيه والعمل بما جاء فيه، حتّى يصل بـه إلـى غايته الإصلاحية.

1-عبد الهادي بين ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص243.

2- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

3 - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص464

ومن خلال هذا، نلاحظ أنّ مقصدية "ابن المقفّع" تكمن في مدى تحكمه في زمان التحديد القبلي للمعاني المراد تبليغها لقرّائه، الذي ميّز بينهم فنجد منهم **« البسطاء الذين لا يفهمون من النصوص إلاّ المقاصد الظاهرة، والقراء الأذكياء الذين يغوصون في الأعماق لِالتقاط المعاني العميقة الموجودة بدورها سلفا في النصوص »**[1]، فمتلقي "ابن المقفّع" الذكي يمكن له أن يصل إلى مقصديته الحقيقية بالاعتماد على السياق، وبسعيه الحثيث الذي يعتمد على الكد والتعب في إعمال الحدس والفكر، لبلوغ المقاصد العميقة الموجودة في كتاب "كليلة ودمنة".

إنّ المتلقي ولكي يفهم، مختلف المضمرات التي جاءت في "كليلة ودمنة" على شكل أمثال وحكم ولابد له من الاطّلاع على مرجعية الخطاب، وكذا الظروف التي أُنشأ فيه وبصيغة أخرى، يجب عليه أن يعرف السياق الذي صاغ فيه "ابن المقفّع" كتابه هذا وجاء على هذه الشاكلة، وهذا كله من أجل إنجاح العملية التواصلية القصدية، والتي تفترض طرفين فاعلين فيها.

لمّا اطّلعنا على كتاب "كليلة ودمنة"، لاحظنا فيها أنّ "ابن المقفّع"، كان يسعى من خلالها إلى تحقيق هدف سامٍ ومثالي، ألا وهو إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في عصره، كذلك الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق، فجاءت حكم وأمثال هذا الكتاب بمثابة القوالب التي قصد منها النصح والإرشاد، سواء للرّاعي الذي يعتبر بمثابة المسيّر والقائد الأعلى لهذا المجتمع الفاسد، أو للرعيّة باعتبارها الركيزة الأساسية التي يبنى عليها هذا المجتمع، إيمانا منه بأنّ صلاح الرعية من صلاح الراعي ذاته.

وانطلاقا من معرفتنا للسياق الثقافي والتاريخي التي صيغت فيه حكايات "كليلة ودمنة"، و**« إذا ما أخذنا في اِعتبارنا هوية المتكلم، ومقصده والوضعية التي هو عليها»**[2]. يمكن استنتاج أهم الأغراض التي قصدها "ابن المقفّع" في "كليلة ودمنة"، وتتمحور في ثلاثة أغراض أساسية وهي: **أدب الملوك والسلاطين – أدب الصداقة - أدب العقل والنفس.**

---

1 - حميد لحمداني: القراءة وتوليد الدلالة (تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2003، ص105.

2 - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص19

يحتل الملوك والسلاطين مكانة هامة في كتاب "كليلة ودمنة"، فهو كتـاب موّجـه بالخصوص إلى الراعي، بصفته قائدا على الناس و موجها لهم، فنجد الكتـاب يحـرص حرصا شديدا في إعطاء المناهج والطرق التي يتبعها الملوك في تصرفهم، إزاء المشاكل التي تعترضهم في البلاط، كما أنه يصور لنا تفاصيل أحوال السلاطين في مختاف وجوه حياتهم، حيث يظهر لنا الملوك وبلاطهم بمظاهر مختلفة، لكي يتسنى لكل ملك أو سلطان أن يجد فيها مثالا له.

1- تقويم سياسة الحكم:

لهذا فإنّ كتاب "كليلة ودمنة" لا يخرج من دائرة تأديب الملوك، وتوضيح الأمور لهم في كيفية قيادة النّاس، والتصرف في بعض المواقف المختلفة، حتى أننا نجد فـي بـاب "**الأسد وابن أوى**" قانونا وتشريعا كاملا في كيفية تصرف الملوك، وشرحا مستفيضا لما يجب عليهم، كما درس الكاتب نفسية الملوك بشيء من التعمق في خباياها قصد توضيح معالمها.

يقول "ابن المقفّع": **«إن الملك لو لم يراجع من إصابته منه جفوة عن ذنب أو عن غير ذنب، ظلم أو لم يظلم، لأضر ذلك بالأمور، ولكن الملك حقيق أن ينظر في حال من ابتلى بذلك، ويخبر ما عنده من المنافع، فإن كان ممن يوثق به في رأيه وأمانته، فـإن الملك حقيق بالحرص على مراجعته فإن الملك لا يستطاع ضبطه إلاّ مـع ذوي الـرأي وهم الوزراء والأعوان، ولا ينتفع بالوزراء والأعوان إلاّ بالمودة والنصيحة، ولا مودة ولا نصيحة إلاّ لذوي الرأي والعفاف، وإعمال السلطان كثيرة، والذي يحتاج إليهم مـن العمال والأعوان كثيرون، ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل، فيجب عليه أن يخبر وزراءه وذوي رأيه، ويرى ما عند كل واحد منهم من الرأي والتـدبير، ومـا ينطوي عليه، فإذا استقر ذلك عنده جعل لكل واحد منهم ما يصلح أن يفكر فيه ويتدبره، وان لا يوجه إلى الأعمال إلاّ من يثق بدينه وأمانته وعفته، ثم عليه بعد ذلك إنفاذ من يثـق به للكشف عن أعمالهم، وتفقد أمورهم بالسر الخفي، حتى لا يخفـى عليـه إحسـان**

محسن ولا إساءة مسيء، فإن لم يفعل ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفي عرض ذلك تهلك الرعية، ويفسد الملك »[1].

من خلال هذا الكلام، نلاحظ حرص "ابن المقفّع" في حسن اختيار بطانة السلطان ووزرائه من ناحية، وحسن التدبر والتعامل معهم من ناحية أخرى، مع العلم الواسع والدراسة بجميع الطرق والوسائل المشروعة، التي يجب أن يلجأ إليها الحاكم عادة للتعامل مع هذه الفئة، لأنها تعتبر بمثابة المرآة العاكسة لأمور السلطان وحسن تدبيره وتدبره من ناحية، ومدى تجاوب الرعية وتقبلها سلطانها من ناحية أخرى، وهذا كله لأنّ الملك عادة ما يعتمد على بطانته و المشورة ومعرفة اللازم فعله.

ونرجع تعاليم "كليلة ودمنة" في إصلاح الحاكم إلى أمور كثيرة، كأن يكون عالما بالأمور كلها، لأنّ العلم هو الأساس الصحيح لكل شيء **«و أن يكون العالم بالأمور وفرص الأعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضى والعجلة والأناة، والناظر في يومه وعدة وعواقب أعماله»**[2]، هذه هي أولى الصفات التي إذا ما فقدت دبّت الفوضى وعمّت في المملكة، فلا طاقة للملك وحاشيته على السيطرة على الرعية كذلك يجب على الحاكم أن يستحكم الحلم والعقل والتأني عند الغضب والوفاء وحفظ العهد، لأنّ الحفاظ على العهود صفة محمودة وغيرها مذموم فـ **« قبحا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء، ويل لمن لبتلي بصحبة الملوك الذين لا ذمة لهم ولا حرمة ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم إلاّ إذا طمعوا فيما عنده من عناء، ولحتاجوا إلى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك، فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ولا إخاء، ولا إحسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق، هم الدين لمرهم مبني على الرياء والفجور، وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب، ويستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم [...]»[3].**

إذن هذه هي الصفات التي يستقبحها "ابن المقفّع" في الملوك: الإخلال بالعهود والتميّز بالرّياء والفجور، فلا ذمة لهم ولا حرمة، وربما تكون هذه الصفات، نفسها التي يتميز بها ملوك وحكام عصر "ابن المقفّع".

1 - ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الأسد وابن آوى الناسك)، ص181.

2 - المصدر نفسه (باب البوم والغربان)، ص160.

3- المصدر نفسه (باب الملك والطير فترة)، ص176.

فإذا كان "ابن المقفّع" يدعو الحكام إلى حفظ العهود من جهة، نجده من جهة أخرى يعلـن أن المروءة والمرونة والحلم أساس الحكم العادل، حيث خصّص بابا بكامله متحدثا عن الحلم وهو "باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت" فكلما جاء في مطلع الحوار الذي جرى بين الفيلسوف (بيـدبا) والملك (دبشليم): « **قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: [...] اِضرب لي مثلا في الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه، ويحفظ ملكه، ويثبت بها سلطانه، ويكـون ذلـك رأس أمره، وملاكه: الحلم، أم المروءة، أم الشجاعة، أم الجود؟ قال بيدبا: إن أحق ما يحفظ بـه الملك ملكه الحلم، وبه تثبت السلطنة، والحلم رأس الأمور وملاكها** [1].

فسياسة الحكم عند "ابن المقفّع" تقوم على الحلم والرحمة من دون التّخلي عن الصرامة التي تفرضها الجدية ولكل حالة أسلوب في المعالجة « **صوابه يتوقـف علـى ذكـاء الحاكم ودهائه، وحنكته، وصلاح بطانته، وسهره دائمـا لمتابعـة العمـال والـولاة والرعية، وإقرار حق الإنصاف والرحمة والعفو الإنساني**»[2].

كما يشترط في الملك أن يضع المعروف والإحسان في موضعهما، وأن يكون حسن السيرة وحسن السياسة الداخلية في انتخاب الأعوان، والحرص على الأمناء منهم لأنهم «**حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم ونصحاؤهم**»[3]، كما يجب عن الملك عدم الإكراه فـي انتخـاب العمال والاحتفاظ ببعض الأعمال، والوقوف على صفات العمال والأعـوان ومـواهبهم وتوجيه كل إلى ما يوافقه، وتفقد العمال والأعمال والمكافـأة، والاستشـارة وتحصـين الأسرار فقد « **قالت العلماء: ينبغي للملك أن يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلـع أحدا منهم على مواضع سره، وقد قيل: ينبغي للمرء أن يتحفظ من عدوه في كل شيء، حتّى في الماء الذي يشربه ويغتسل به، والفراش الذي ينام عليه، والحلة التي يلبسـها، والدابـة التي يركبها، ولا يأمن على نفسه إلاّ الثقة الأمين، السالم الباطن والظاهر، ويكون بعـد**

---

1 - المصدر نفسه (باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت)، ص192

2 - عمر بن قينة: الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية (لدى ابن المقفع، وابن العنابي والكواكبي)، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن 2000، ص40.

3 - عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن المقفع، ص130

ذاك كله على حذر منه، لأن عدوه لا يتوصل إليه إلاّ من جهة ثقاته، فربما كان احدهم لعدوه صديقا فيصل العدو إلى مراده منه»[1].

"فابن المقفّع" بهذا يحرص حرصا شديدا على كيفية اختيار الأعوان والبطانة، والحـرص الشديد أيضا منهم ومن شرهم وغدرهم للحكام، فالملك يجب عليه أن يختار من الأعوان أصدقهم وثقاتهم، ثم إنه مطلوب منه الحرص منهم حتّى ولو اتصفوا بهـذه المواصـفات الحميدة.

كما ينبغي على الملك أن يكون عادلا فهو **«أحق الناس بإجبار نفسه على العـدل فـي النظر والقول والفعل، والوالي الذي بعدله يعدل من دونه، والذي ما قال أو فعـل كـان أمرا نافذا غير مردود»[2].**

ويشترط في الملك أن يحسن التصرف في وضع المعروف والإحسان في مواطنـه ولمن يستحقونه، وإكرام الذي يستحق الإكرام، ومادام السلطان يسعى إلى الحفاظ علـى ملكه و سلطته، كان لزاما عليه أن يتحلى بهذه الصفة.

«إن الملوك وغيرهم من ذوي العقول، إذا تعمدوا بمعروفهم أحدا يختصونه به، ينبغـي لهم أن يضعوه موضعه، ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقـوم بشـكره، فينبغـي للملوك ألا يصطفوا أحدا إلاّ بعد الخبرة بطرائقه، والمعرفة بوفائه ومودته وشكره، فإن من أقدم على المشهور بالاستقامة والعفة، واسترسل إليه من غير ٳختيار ولا تجربـة كان مخاطرا في ذلك، مشرفا منه على هلاك و فساد [...] ولا ينبغي أن يختصوا بـذلك قريبا لقرابته، ولا أحدا من خاصتهم لشرفه إذا كان غير محتمل للصنيعة، فإنـه إنمـا شرف بتشريفهم إياه، ولا أن يمنعوا معروفهم وجميلهم عن بعيـد لبعـده، أو خامـل لخموله إذا كان عارفا بحق ما يصطنع إليه، مؤديا لشكر ما أنعم عليه، وقـد قيـل : لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر أحدا من الناس حتى البهـائم، ولكنـه خليـق أن يبلـوهم

1- ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب البوم والغربان)، ص158.

2 - عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي، ص129.

ويختبرهم، ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم، فقد يكون الخير عند من يظن به الشر، والشر عند من يظن به الخير»[1].

كما يشترط "ابن المقفّع" على الملك، أن يكون حسن السيرة، مخالفا بذلك لسيرة "ملك الغربان" التي كانت سيرة شر وفخر وخيلاء وضعف رأي، وحسن سيرة الملك أن يعرف حق قدر نفسه، أما فيما يخص السياسة فهي عند "ابن المقفّع" قسمان: خارجية وداخلية، وعلى الملك الإحسان في السياسة الداخلية وتتمثل في أن يختار الأعوان **« فإن الملك لا يستطاع ضبطه إلاّ مع ذوي الرأي، وهم الوزراء والأعوان، ولا ينتفع بالوزراء والأعوان إلاّ بالمودة والنصيحة»**[2].

ويجب على الملك أيضا الابتعاد عن الأعوان الذين يتصفون بصفات ذميمة، حيث أن من يجب تركه من هؤلاء هو **« من عرف بالشراسة، ولؤم العهد، وقلة الشكر والوفاء والبعد عن الرحمة والورع، واتّصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها»**[3].

وكي يتسنى للملك حسن السياسة الداخلية، يجب أن يأخذ بأسبابها، وهي أن لا يكره أحدا على عمل من أعماله **« لأن المكره لا يستطيع المبالغة في العمل »**[4].

كما أنّ الحفاظ ببعض الأعمال من حسن السياسة، وكذلك الوقوف على صفات العمال والأعوان، فيوجه كل واحد منهم إلى ما يوافقه ويناسبه من المناصب والأعمال، وأن يحرص على معاينة الأعمال وتفقّد العمّال، فلا يخفى عليه إحسان محسن، ولا إساءة مسيء، وأن يستشير لأنّ **«الملك يزداد برأي وزرائه بصيرة، كما يزيد البحر بما جاوره من الأنهار»**[5].

وعلى الملك أن يكون حافظا لأسراره فهي كذلك من مواطن حسن البلاء في السياسة الخارجية، وكذا التّدبير في أمور الحرب والسلم بنفس الصفة، إذ يجب أن يجيد

1 - ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب السائح والصائغ)، ص 211.

2 - المصدر نفسه (باب الأسد وابن آوى الناسك)، ص181.

3 - المصدر نفسه، الباب نفسه، ص178.

4 -المصدر نفسه، الباب نفسه، ص182.

5 - المرجع نفسه (باب البوم والغربان)، ص144.

الملك التّدبير في الحرب كما يجيد في السلم إذ أنّ **«الصلح أفضـل مـن الخصـومة»**[1] و**«العدو الشّديد لا يرد بأسه مثل الخضوع له، ألا ترين إلى الحشيش كيف يسـلم مـن عاصف الريح للبنية وميله معها حيث مالت، والشجر العاتي يكسر بها ويحطم»**[2] .

نلاحظ هذه السياسة الحكيمة والناجعة، التي وضعها "ابن المقفّع" للحكام وكيفية تصـرفهم في الحروب، والسّبل الناجحة في مقابلة العدو.

كما ينبغي على الملك أن يكون عادلا، فهو **«أحق الناس بإجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل، والوالي الذي بعدله يعدل من دونه، والذي ما قال أو فعل كان أمرا نافذا غير مردود »**[3].

فهذه أقصى الخصال التي يطالب "ابن المقفّع" من الملك التّحلي والعمل بها.

وعلى هذا الأساس نجد أنّ القصد العام من كتاب "كليلة ودمنة" هو تقويم الملـوك بشتى الطرق، وتحليلهم بشتى الخصال الحميدة، وهذا راجع إلى إدراك "ابن المقفّع" **« أن مرجع أمراض الراعي إلى الظلم و الإستبداد، وأن مصدر أمراض الرعية هـو الجهـل فداوى الظلم والِاستبداد في الراعي بحسن اِختيار الأعوان وحسن الِاستشارة، وإنشـاء ونظام قوامه العقل العادل، وداوى الجهل في الرعية بالتسلح بالعقـل والمعرفـة عـن طريق التفكير والمشورة والصداقة الحقة، ومحاسبة النفس، وذكر الآخرة»**[4] .

إذن هذه هي السياسة الناجعة، والمنهج القويم والدقيق الذي وضعه "ابن المقفّع، لما يجب أن يتصرف به الملك نحو الرعية.

---

1 - ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب البوم والغربان)، ص151.

2 - المصدر نفسه، الباب نفسه، الصفحة نفسها.

3 - عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي، ص129.

4- حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص464.

2- قيم الصداقة:

أدرك "ابن المقفّع" الأهمية التي تحتلها القـيم المنتشـرة فـي مختلـف العلاقـات الاجتماعية السائدة، ومن هذه القيم نجد الأخوة والصداقة اللتين تحتلان مكانة بارزة فـي كتاب "كليلة ودمنة"، حتى أنّنا نجد بابا كاملا، يتحدث عن مفهوم الصداقة، والود- لأهميته في توطيد أواصر الأخوة- وهو "باب الحمامة المطوقة"، حيث تعد الصداقة في هذا الباب من ضروريات الحياة، إذ تضفي نوعا من السرور في الدنيا حيث أنّه « **لا شـيء مـن سرور الدنيا يعدل صحبة الأخوان، ولا غم فيها يعدل البعد عنهم**»[1]، فلا تهنأ الحياة لمـن فقد إخوانه بل يلقى من الغمّ والحزن ألوانا.

وتعرف قيمة الأخ عندما تلمّ الملمّات أو عند النّائبات هم قليل، ومن الإخوان الصادقين من لا يعدل من صداقته عن النائبات « **فالناس عند البلاء، وذو الأمانة عند الأخذ والعطـاء والأهل والولد عند الفاقة، والإخوة عند النوائب**»[2].

الإنسان اجتماعيّ يألف بني جنسه، وبدونهم تستحيل معيشته، ومن ألفته أن يتّخذ من بني جنسه أصدقاء، يكونون في المرتبة أكثر قربا وألفة إذا ما قورنت بحاجتـه إلـى النّاس، ومن الأصدقاء من هو أقرب إلى القلب وأوقع في الخـاطر، وهـو الأخ الـوفيّ المخاص والعاقل الخيّر إذ أنّ « **الإنسان الذي أعطي العقل والفهم، وألهم الخير والشـر ومنح التمييز والمعرفة، أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد** »[3].

والصداقة في "كليلة ودمنة" على نوعين: صداقة معنوية التي تكـون بتبـادل الصفاء والإخلاص، والصداقة المادية وهي أقرب إلى الإحسان، فتكون بتبادل ذات اليـد وإسداء المعروف، والأولى أفضل، من الثانية، لأنها أدوم وأصدق فـ ـ « **أهـل الـدنيا يتعاطون بينهم أمرين، ويتواصلون عليهما وهما: ذات النفس وذات اليـد، فالمتبـادلون ذات النفس هم الأصفياء، وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون، الـذين يلتمسـون**

1 - ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الحمامة المطوقة)، ص137.

2 - المصدر نفسه، الباب نفسه، ص140.

3 -المصدر نفسه، الباب نفسه، ص 141.

بعضهم الإنتفاع ببعض، ومن كان يصنع المعروف لبعض وإلقائه الحب للطير، لا يريد بذلك نفع الطير، وإنما يريد نفع نفسه، فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد»[1].

ومن هذا المنظور، فإنّ الصداقة الصافية تفان في سبيل الصديق، وإيثار له على النفس وتقديم له على الذات.

وكما يكتسب المرء أصدقاء في المجتمع فإنّه من سنة الحياة أن يكتسب أعداء والتعامل مع هذه الفئة يحتاج إلى بعض من التفكير والتدبير للتمكن من التعايش معهم في مجتمع واحد، فكما أنّه من الواجب على المرء أن يحافظ على الصداقة والأصدقاء، فإنّ عليه أيضا الحرص من العداوة والأعداء، والتّدبر من أجل التّقليل من عددهم ولاجتناب أذيتهم وشرورهم، ونجد في كتاب "كليلة ودمنة"، بابا بكامله يظهر لنا هذه الفئة، بخير مظهر وخير منهج لانتقائها والبعد عنها وهو ("باب الجرز والسنور")، ويكفي السؤال الذي طرحه "دبشليم" الملك على "بيدبا" الفيلسوف في هذا الباب كدليل على ذلك: **«اضرب لي مثلا رجل كثر أعداؤه، وأحدقوا به، من جانب فأشرف معهم على الهلاك، فالتمس النجاة المتخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحتهم، فسلم من الخوف وأمن، ثم وفي لمن صالحة منهم»**[2].

وتكون إجابة "بيدبا" دستورا كاملا، على مثل هذا الموضوع، حيث يقول: **«إن المودة والعداوة لا تثبتان على حالة أبدا، وربما حالت المودة إلى العداوة، وصارت العداوة ولاية وصداقة، ولهذا حوادث وعلل وتجارب، وذو الرأي يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا، أما من قبل العدو فبالبأس، وأما من قبل الصديق فبالإستئناس، ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته، والإستنجاد به، على دفع مرهوب، أو جر مرغوب، ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته»**[3].

1- ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الحمامة المطوقة)، ص131.

2- المصدر نفسه (باب الجرز والسنور)، ص 171.

3- المصدر نفسه، الباب نفسه، الصفحة نفسها

إذن الصداقة عند "ابن المقفّع"، هي أن يتصاحب الأخيار فيمـا بيـنهم، ويتصـاحب الأشرار فيما بينهم، وقد يصاحب الأشرار الأخيار لنية مبنية، وتكون صداقة الخيّر رغبة أما صداقة الشرير للخير فتكون إمّا لرهبة وإما لرغبة.

يقول "ابن المقفّع": «**والمودة بين الصالحين سريع اِتّصالها، بطيء اِنقطاعها، ومثل ذلـك مثل الكوز الذهب، بطيء الاِنكسار، سريع الإعادة، هين الإصلاح، إن أصابه ثلم أو كسر والمودة بين الأشرار سريع اِنقطاعها بطيء اِتّصالها، ومثل ذلك مثل الكوز الفخارسريع الاِنكسار، ينكسر من أدنى شيء، ولا وصل له أبدا، والكريم يود الكريم، واللئيم لا يـود أحدا إلا عن رغبة أو رهبة**»[1]

---

[1]- ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الحمامة المطوقة)، ص 130.

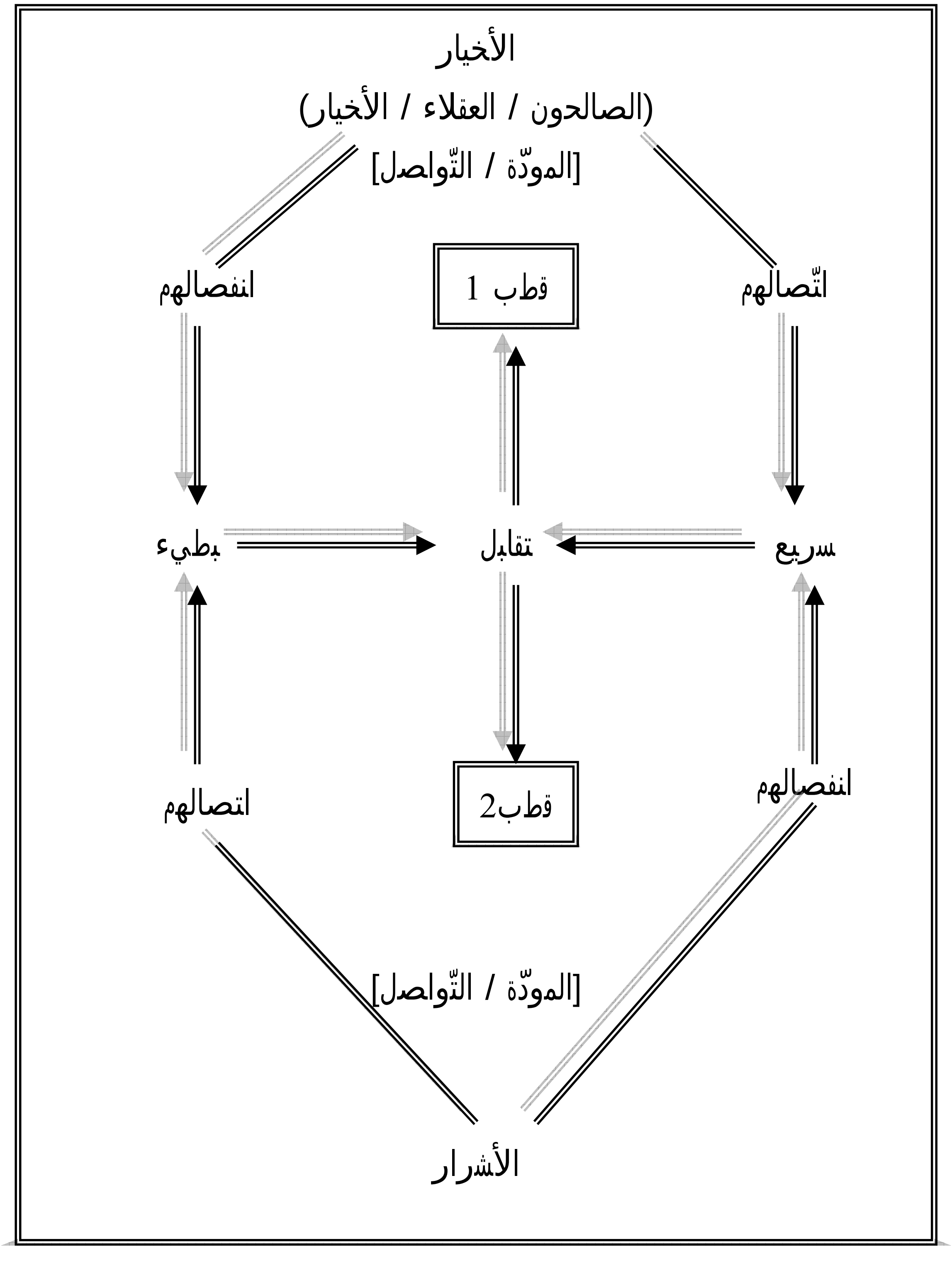

إن السمة الأساسية لهذا الشكل، هو التقابل في المعاني، فهناك ثنائيات كثيرة، ثنائيـة (اتصال / انفصال) وثنائية (أخيار / أشرار)، ثنائية (سريع / بطيء) ...إلخ، وينشأ مـن

ذاك قطبان متنافران يمثلان الحياة بتناقضاتها، وكأنّ السكون بني على هذه الثنائية التّقابلية وهي أساسه، وفيها نوع من التكامل.

3- العقل وتهذيب النّفس:

يعتبر الاستحكام العقل، في الأمور الضرورية كلّها، في كتاب "كليلة ودمنة"، بمثابة القائد الأعلى الذي يفصل بين الأشياء الجيدة أو الرديئة، حتى أنّ معظم الكتاب جاء في مجمله نصيحة وبأشكال متنوعة، ويكفي أن يكون أحد طرفي التواصل في الكتاب فيلسوفا معروفا بحكمته و حنكته ومعرفته بشتى الأمور، حيث صاغ إجاباته عن أسئلة الحاكم "دبشليم" بشكل منطقي مفيّض في الشرح والتعقيب.

يقرّ "ابن المقفّع" بضرورة وأهميته في الحياة، لأنّ الأشياء ليست بالقوة بل بالعقل وحسن التدبر، والحيلة عادة ما تغلب القوة، واستخدام العقل والحيلة، حتى في مصالحة الأعداء فيقول في ذلك: **« ولا تمنح ذا العقل عداوة، كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به، على دفع مرهوب، أو جر مرغوب، ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته »**[1]

ومعنى هذا، أنّ العاقل ضابط لنفسه ولأموره ولأحوال زمانه، ومن صفاته الحذر من أقرب المقربين إليه، فكما أنّه يعطي لكل جانب في الحياة حقه ونصيبه، فإنّه يعطي فوق هذا الحق مبالغة في الحذر والحيطة.

وما دليل ذلك إلاّ في قوله: **«وقد كان يقال: إن العاقل يعد أبويه أصدقاء والإخوة رفقاء والأزواج ألفاء، والبنين ذكرا، والبنات خصماء، والأقارب عزماء، ويعد نفسه فريدا وحيدا»**[2]

وعموما فإنّ الفلسفة التي استحكم "ابن المقفّع" في كتاب "كليلة ودمنة"، تعتمد على الحكمة والعقل وحسن التدبر، والكتاب في عمومه يحمل تعاليم أخلاقية، حتى أنّ "إبراهيم

1- ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب الجرذ والسنور)، ص171.

2 - المصدر نفسه (باب الملك والطير فترة)، ص177.

اليازجي" يقول فيه: **« لم يخط فيه حرف إلاّ قصد به شيئا من الحكمة العائدة إلى توفير مادة العقل وتهذيب السيرة والسريرة، والدرية في الأحوال المعاشية والمعادية [...] حتّى أنه معدود عن كنوز الحكمة المشرقية، بل الحكمة المشرقية، بل الحكمة الأداميـة التي لم تجتمع منها في كتاب ما اجتمع فيه على صغر حجمه و قلة جرمه »**[1] .

والملاحظ على فلسفة كتاب " كليلة و دمنة " عموما أنّها، فلسفة رأي و حكم و تدبير في أمور الحياة، و أخذ الأشياء بالملاينة ، فقد ينال الفتى بالعقل و الحلم ما يعجز عنه بالقوة.

كما أنّ استعمال المنطق العقلي في عرض المسائل، و ربط المعاني بعضها ببعض ونزعته العقلية الموافقة للعقلية الإسلامية، و كذلك انتهاج أسلوب الملاينة والتّعقل في الأخذ بنواصي المسائل، تجعل هذه المعاني المعروضة تنساب على توافق، مع ما درج في إفهام الناس، كما أنّ توافق المنطق العقلي يعطيها صفة القبول عند المتلقي .

لقد عدّ " ابن المقفّع " من كتاب " الوصايا والمرايا " الذين اهتموا بدرس الأخلاق وتأديب النّفس، كما أعتبر أيضا من المصلحين الاجتماعيين لكثرة عطائه الفكري، قصد إقامة نظام اجتماعيّ و سياسيّ على أسس صحيحة، و من أجل غايات شريفة وأغراض سامية **« و مما لا شك فيه أن تلك الآثار القديمة– الأدب الصغير و الأدب الكبير، رسالة الصحابة، الأدب الوجيز للولد الصغير، يتيمة السلطان، كليلة و دمنة – تقدم لنا قطاعا تربويا و تعليميا واسعا، محدد المعالم واضح الغايات، و كأن أسلوبها الأدبي" الإرشادي الذي يصر به على مخاطبة العقل، هو الذي جعل هذا النوع من الكتابات والرسائل يندرج تحت اِسم " أدب الوصايا والمرايا" »**[2]

إنّ "ابن المقفّع" كان عبقريا عندما اعتبر نفسه في كتاب "كليلة ودمنة" مترجما لا غير، ومن ثمة استطاع أن يمرر مشاريعه الإصلاحية، دون أن يثير ذلك انتباه الخلفاء أو السلطة عامة، وذلك لما تكتسبه دعوته من أهمية، حيث أنّها تحرّض الرعية على التّمرد

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي ، ص 456 .

2 - عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي، ص 126 .

ومناقشة الخلفاء في كل أمور الدولة والسلطان، فالتهرب والتملص من مسؤولية إنتاج خطاب "كليلة ودمنة" أفرزته الاستراتيجية التّلميحية التي وظّفها "ابن المقفّع" لأنها تصونه من تبعة الكلام الذي جاء في "كليلة ودمنة".

ولكن إذا غابت سلطة "ابن المقفّع" في كتاب "كليلة ودمنة" بتوظيفه للتلميح، فإنّ هذا الغياب لا يحرم المرسل امتلاكها من خلال التلفظ بأنواع متعددة من الخطابات المتمثلة في الأمثال والحكم، والتي دارت بدورها بين الفيلسوف والملك، حيث أنّ كلام الفيلسوف في "كليلة ودمنة" محصور في إطار الإجابة عن السؤال المطروح وتنفيذ أمر الملك، بضرب الأمثال وسردها، ويتغيّر هذا الكلام تغيرا طفيفا حسب ما تقتضيه وظيفة الحوار في الباب ذاته.

وقد أعتبر الباب الأول والأخير بمثابة المقدمة والخاتمة، أما في الباب الثاني فيباشر الفيلسوف بمثل "الأسد والثور"، ثم يختمه بحكمة، ونفس الشيء بالنسبة للباب الموالي المفتوح هو كذلك بحكمة، أي على شكل حكمة فمثل وحكمة، تكون كسابقها جملة تقريرية عامة، تتطلب توضيحات وهكذا ...إلخ، في حين أنّه كلما غابت هذه الحكمة في بداية الحوار، اكتفى "بيدبا" الفيلسوف بعرض شبه عنوان للمثل المتضمن لموضوعه والدال على محتواه، لكي يبرز الحكمة ويقنع الملك بما يرويه من أمثال.

وعليه فالخطاب القائم بين الفيلسوف (بيدبا) والحاكم (دبشليم) في قصص "كليلة ودمنة "، يبني على ثنائية "**خطاب القوة** " من جهة الملك (السائل)، الآمر بصيغ (اضرب لي مثلا ... كيف كان ذلك؟ ... حدّثني ... أخبرني) وعلى " **قوة الخطاب** " من جهة الفيلسوف المجيب، العالم ليحصل في الأخير، كنتيجة حتمية لهذا الصراع أي "صراع الخطاب"، التطابق بين المستويين، لأنّه لو لم يكن الأمر بالحديث موجودا، ما كان للحكاية تبرير أبدا، ولأنه لو لم تكن أيضا المعرفة والحكمة ما حصل الإقناع. وعليه يمكن أن نجمّل هذا في المخطط الآتي:

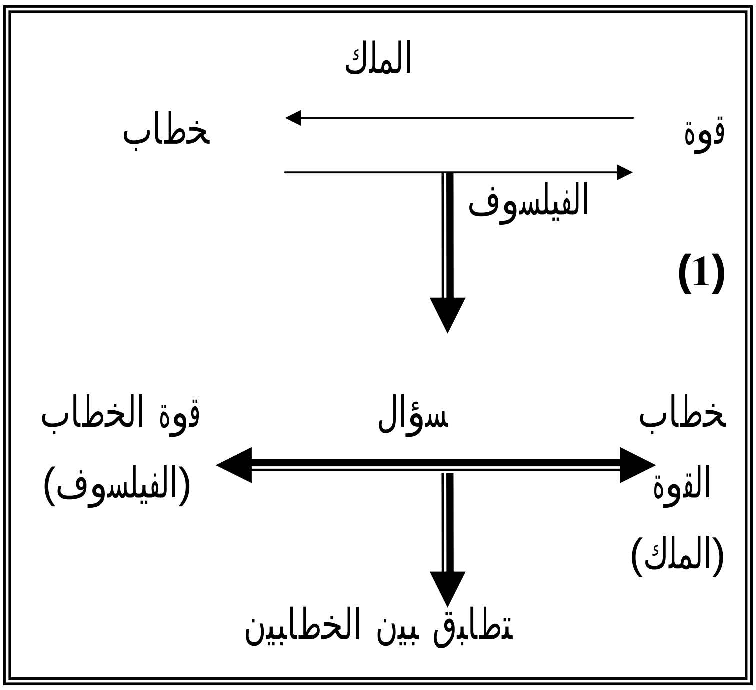

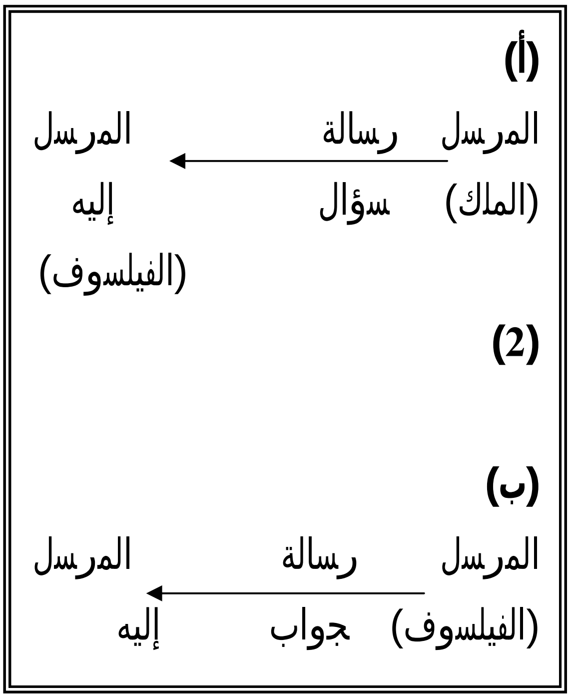

فالسّلطة إذن لم تعد، تكمن في "أنا المرسل"، بقدر ما تكمن في إنتاج (الأنا) للخطاب، وذلك بتفعيل الفكر وإنتاج العديد من المهارات، واستثمار عدد مهم من البيانات اللغوية في السياقات المناسبة لها، وبالتالي فإنّ التلفظ بالخطاب، يصبح هو الذي يكسب "الأنا" السلطة، لا العكس. ويبقى السياق هو المفعّل الوحيد للوصول إلى الهدف المقصود من الخطاب، وذلك لأن دلالة الخطاب لا يمكن أن تضبط بشكل تام إلاّ بانفتاح التأويل على السياق بمفهومه الواسع.

الخاتمة :

لقد أفضت بنا هذه الدراسة التي أردنا منها مسبقا الكشف عن أهم العناصر التـي انبنى عليها خطاب "ابن المقفّع" المتمثل في كتاب "كليلة و دمنة"، و من ثم الكشف عن أهم المقاصد الفعلية للمؤلف و الخطاب في نفس الوقت .

فانتهى بنا البحث في الفصل الأول، إلى معرفة مدى أهمية العتبات السياقية الأولى للنص، في معرفة السياق العام الذي جاءت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، فدرسنا فـي هـذا الفصل، العنوان باعتباره الدافع الأول لعملية القراءة والمفعل الرئيسي لها، ثم تطرقنا إلى ما أسميناه أقطاب العملية التواصلية، والتي تتكوّن من مرسلٍ (ابن المقفّع) ومرسـلٍ إليـه (متلقيه)، حيث لاحظنا وضع المخاطب لدرجات متلقين كل بإمكانه قراءة "كليلة ودمنة" من زاويته الخاصة، ويأتي في هذا الفصل كذلك دراسة للزّمان والمكان، لتكون بذلك النتيجـة الأساسية، هي وضع هذا الخطاب في إطاره السياقي العام، الذي وجّهنا فيمـا بعـد إلـى الوصول إلى المقاصد العامة التي أرادها صاحب الخطاب.

كما أفضى بنا البحث في الفصل الثاني، إلى رصد أهم الاستراتيجيات التي اعتمدها "ابن المقفّع" في "كليلة ودمنة"، فتبين لنا أنّ الاستراتيجية التلميحية هي التي طغـت فـي الخطاب بشكل كبير جدا، وهذا بحكم اعتماد المرسل على الحكايات الخرافيـة بالدرجـة الأولى، وتوصلنا في هذا الفصل إلى أنّ للسياق دورا كبيرا في اعتماد "ابن المقفّع" علـى هذه الاستراتيجية حيث كان للأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية، التي كان يعيشها في عصره، تأثير كبير على الأساليب التي اعتمد عليها، وكان الهدف الأساسـي لـه، هـو التهرب والتملّص من حكام عصره، من تبعة ما جاء في هذا الكتاب، وبذلك تبيّن لنا مدى مركزية السياق في منح الخطاب دلالته للتّعبير عن القصد.

في الفصل الثالث، وبالاعتماد على السياق دائما، كأداة إجرائية فعّالة، تساهم فـي الكشف عن دلالات الخطاب، توصلنا إلى الكشف عن أهمّ المقاصد التي أراد "ابن المقفّع" أن يوصلها إلى متلقيه، وذلك باعتماده على استراتيجية خاصة، ساعدته على ربط خـيط التواصل بين مخاطبه وبينه باعتباره الطرف الأساسي في إنجاح العملية التواصلية.

بدون المرسل لا يكون هناك خطاب لأنّه طرف الخطاب الأول، الذي يتّجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التّخاطبية بقصد إفهامه مقاصده أو التّأثير فيه .

لذلك رأينا أنّ ابن المقفّع" اختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المرسل إليه الـذي وضعه في درجات مختلفة، بما يراعيه عند إعداد خطابه، وفق ما يقتضيه موقعـه، إمـا الموقع الاجتماعي أو الموقع الوظيفي أو غيرهما، كما يتوخّى كذلك ما يتناسب مع السياق العام، حيث استحكم "ابن المقفّع" في "كليلة ودمنة" استراتيجية مهمة في عملية التّواصـل بين أقطابها ألا وهي الاستراتيجية التّلميحية التي استدعتها الظروف التي جاءت فيها وكما رأينا فإنّ العصر العباسي والذي هو عصر المؤلف اقتضى أن يقنع "ابن المقفّع" خطابـه هذا، تهربا وتملصا من الحكام الجبابرة المنتشرين في تلك الفترة، خاصة منهم "السـفاح" و"أبا جعفر المنصور" هذا تجنّبا لأن يطاله أي أذى لتبعة ما جاء في "كليلة ودمنـة" مـن إرشادات وتوجيهات للحكام والسلاطين، مازجا أسلوبه في ذلك بالتّرغيب تارة والتّرهيـب تارة أخرى .

إن السياق باعتباره الإطار العام، الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينهـا، واختيـار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب، وذلك بالاعتماد علـى عناصـره الهامة المتمثلة في طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه)، والزمان والمكـان، فمعرفـة عناصر السياق التي جاءت فيه "كليلة ودمنة" تسهم في عمليـة التعبيـر عـن المقاصـد والاستدلال لإدراكها، وعليه فإن اختيار "ابن المقفّع" لـلأدوات والآليـات اللّغويـة التـي استعملها، تعدّ انعكاسا للعناصر التي تشكل في مجموعها سياقا معينا، يبرز من خلال لغة الخطاب، وبمعرفة هذا السياق استطعنا الوصول إلى المعنى المقصود واسـتخراج أهـمّ الأغراض الموجودة في هذا الخطاب .

يسعى خطاب "ابن المقفّع" إلى التّعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة، إذ يبرز في خطاب (كليلة ودمنة) مقاصد كثيرة، قد تظهر مباشرة من شكل الخطاب، وقد لا تظهر، وعندها تصبح لغة الخطاب شكلا دالا يقود إلى المدلولات المختفية خلفه، من خلال المعطيات السياقية والعلاقات التّخاطبية، والافتراضات المسبقة التي يـدركها المرسـل أو

يفترض وجودها، فيبني لغة خطابه عليها، كما يدركها المرسل إليه، ليستدلّ على المقاصد من خلالها، مستندا بذلك ومعتمدا على كفاءته التّداولية التّأويلية .

وبعد هذا فإنّ الغاية القصوى والهدف السامي الذي توصلنا إليه هو مدى مرونة نصوصنا التراثية في كيفية تحليلها، وقابليتها لاستحكام مختلف الآليات والإجراءات التي أنتجتها مختلف الدراسات الحديثة، منها التّداولية كمنهج يملك آليات ناجعة في كيفية تعامله مع النّصوص التراثية، وفي كيفية تأويل الأقوال، وبلوغ المقاصد الفعلية للمؤلف والمؤلف وذلك بالاعتماد على السياق بمفهومه الكامل .

قائمة المصادر والمراجع :

1- باللغة العربية:

أ) المصادر:

- **ابن المقفّع**: كليلة ودمنة ، حققه وقدمه: محمد أمين فرشوخ، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1990.

  : كليلة ودمنة، راجعها وعلق عليها: الأستاذ عرفان مطرجي، ط1، دار الفكر، بيروت 2005.
- **الجاحظ، أبي عثمان**: البيان والتبيين، تقديم: علي أبو ملحم، ط2، ج1، دار مكتبة الهلال، بيروت 1992.
- **الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر**: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت 1979.
- **الآمدي**، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد: الأحكام في أصول الأحكام، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت 1983.
- **الجرجاني، عبد القاهر**: دلائل الاعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 2005.

  : أسرار البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق: عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، ط1، دار الجيل، بيروت 1991 .

ب) المراجع:

- **إبراهيم، خليل**: في النقد والنقد الألسني، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان 2002 .
- **حميد، لحمداني**: القراءة وتوليد الدلالة (تغيير عاداتنا في قراءة النص العربي)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2003.
- **حنا، الفاخوري**: تاريخ الادب العربي، ط10، المكتبة البوليسية، لبنان 1980.
- **حمزة، عبد اللطيف**: ابن المقفّع، ط3، دار الثقافة العربية للطباعة، دب 1965.

- **رشيد، الإدريسي**: سيمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء 2000.
- **سعيد، يقطين**: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ط1، المركز
- الثقافي العربي، المغرب 2005.
- **سلمان، كاصد**: عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، د ط، دار الكندي، الأردن 2003.
- **طه، عبد الرحمان**: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000.

: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1998.
- **على، أيت أوشان**: السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2000.
- **عبد، الهادي، بن ظافر الشهري**: استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوي تداولية)، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا 2004.
- **عبد الناصر، حسن محمد**: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1999.
- **علي، بن تميم**: السرد والظاهرة الدرامية (دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم)، المركز الثقافي العربي، المغرب 2003.
- **عبد الجليل، مرتاض**: اللغة والتواصل (اقترابات لسانية)، للتواصلين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر 2003.
- **عبد الحميد، حاجيات**:عبد الله ابن المقفّع (حياته وآثاره)، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.
- **عمر بن قنية**: الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى ابن المقفّع وابن العنابي

والكواكبي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن 2000.

- **عبد الأمير، شمس الدين**: الفكر التربوي عند ابن المقفّع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب، ط1، دار إقرأ، بيروت 1985.

- **عبد الله، إبراهيم**: التلقي والسياقات الثقافية، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر 2005.

- **عبد الفتاح، كيليطو**: الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب 1988.

- **فان دايك**: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب 2000.

- **فرانسواز، أرمينكو**: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د ب، د ت.

- **فولفجانج، هاينه مان/ ديتر، فغيهفجر**: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر 2004.

- **محمد، خطابي**: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 1991.

- **محمد، محمد يونس علي**: وصف اللغة العربية دلاليا (في ضوء مفهوم الدلالة المركزي "دراسة حول المعنى وظلال المعنى")، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا 1993.

- **محمد، غنيمي هلال**: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 2004.

- **محمد، العمري**: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطاب في القرن الأول نموذجا)، د ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب 1986.

- **ناجي، التكريتي**: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.

- **هنريش، بليث**: البلاغة والأسلوبية (نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة وتقديم

وتعليق: محمد العمري، ط1، دراسات سال، الدار البيضاء.

ج / المعاجم:

- **ابن منظور**: لسان العرب، ج3، دار الجيل، دراسات العرب، بيروت 1988.
- مجموعة من المؤلفين (مجمع اللغة العربية): معجم الوسيط، ج1، ط2، مطابع دار المعارف، مصر 1972.

د / المجلات:

- **خليل أحمد خليل**: رموز الوعي السياسي في كليلة ودمنة، مجلة دراسات عربية، ع1، 18، دار الطليعة، بيروت 1981.

2- باللغة الفرنسية:

- **Anne reboul, J.Moechler**: la pragmatique aujourd'hui (nouvelle science de la communication), seuil, Paris 1998.
- **Benveniste.E**: problèmes de linguistique générale, T1, Gallimard, Paris 1966.
  : Problème de linguistique générale, T2, Gallimard, Paris 1974
- **C.K Orecchioni**: L'implicite, Armand Collin, Paris 1986.
  : Enonciation de la subjectivité dans le langage, Armand Collin, Paris 1980 .
- **Ducrot .O** : Dire et ne pas dire , 2eme édition , Hermann , Paris 1980.
- **Dubois . J** : Dictionnaire de Linguistique , Larousse , Paris

1973.

- **Ducrot . O - Todorov .T** : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed Seuil, 1972.
- **Eco, U**: sémiotique et philosophie du langage, PUF, Paris 1993.
- **Genette, G** : palimpsestes la littérature aux seconds degrés, édition de seuil, Paris 1982.
- **Grimas, J courtes, J** : sémiotique (dictionnaire raisonne de la théorie du langage, hachette université).
- **Josette ray-debouve** : lexique sémiotique, 1er édition, presse universitaire de France (PUF), Paris 1979.
- **Mounin, G** : dictionnaire de la linguistique, 4ème édition, PUF, France 2004.
- **Maingueneau, D** : les termes clés de l'analyse du discours, seuil, France 1996.

  : Nouvelle tendances en analyse de discours, édition Hachette, Paris 1987.

مواقع الأنترنيت:

- www.awu-dam.org.
- http://membres,lycos.Fr.
- http//aslimnet.free.fr.

فــــــــهرس الـــــــموضوعات

مقدمة: 1

المدخل: سياق الخطاب 14

الفصل الأول: عتبات السياق

تمهيد: 31

1- عنوان "كليلة ودمنة"/ الدلالة والرمز: 36

2- مقدمات الكتاب: 46

3- أقطاب العملية التواصلية: 48

الفصل الثاني: العملية التواصلية واستراتيجية التحاور

تمهيد : 68

1 - سياق الاستراتيجية التلميحية : 69

2- سياق المتضمنات في "كليلة ودمنة": 91

3 - بلاغة الإقناع والإمتاع: 99

الفصل الثالث: المقاصد العامة وسياق العصر

تمهيد: 112

1- تقويم سياسة الحكم: 118

2- قيم الصداقة: 124

3- العقل وتهذيب النفس: 128

الخاتمة : 132

قائمة المصادر والمراجع : 135

فهرس الموضوعات 140